

دور اليهود والقوى الدولية في خلع  
السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش  
( ١٩٠٨ - ١٩٠٩ )

الدكتور  
حسن علي مهدي

الدار الجامعية

للطباعة والنشر  
بجدة ١٤٢٢ هـ



دُور اليهود والقوى الدولية في خلع  
السُّطان عبد الحميد الثاني عن العرش

(١٩٠٨ - ١٩٠٩)



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



## الجذور والأسباب الحقيقية لمعاداة اليهود والقوى الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني

تولى السلطان عبد الحميد الثاني حكم الدولة العثمانية في ٦ أيلول (سبتمبر) ١٨٧٦ - ١٨ شعبان ١٢٩٣ هـ . ومنذ أن تولى العرش أبدى اهتماماً جدياً بمستقبل فلسطين والولايات العربية الأخرى، وشعر بأهمية الخطر الصهيوني المتجه نحو الأراضي المقدسة في فلسطين، ولهذا بدأ بمحاربة الهجرة اليهودية إليها. وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد رفض في عام ١٨٧٦ عروض «حايم غودبلا» لشراء مساحات من الأراضي في فلسطين لاسكان المهاجرين اليهود فيها .

وبالرغم من الموقف العثماني الراض للهجرة اليهودية، غير أن المحاولات الصهيونية استمرت لاقناع الحكم العثماني بضرورة الموافقة الرسمية على انشاء المستعمرات ورفع قيود الهجرة. وكانت فلسطين قد شهدت موجة من المهاجرين اليهود في العام ١٨٨٢، وقامت جمعية «احباء صهيون» بنشاط ملحوظ لدى السلطات العثمانية، وتقدمت في العام نفسه من القنصل العثماني في أوديسا للحصول على اذن بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، ولكن الحكومة العثمانية أوعزت إلى القنصل في نيسان (ابريل) عام ١٨٨٢ برفض هذا الطلب، واشعار جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة العثمانية بأنه لن يسمح لهم بالاستقرار في فلسطين، على أنه لا يعني ذلك السماح لهم بالهجرة إلى المناطق العثمانية الأخرى والاستقرار فيها كفيما شاؤوا، بل عليهم أن يصبحوا رعايا عثمانيين وأن يقبلوا تطبيق القوانين المعمول بها في الأمبراطورية<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الفترة توجهت بعض القوى الصهيونية إلى استانبول للتوسط لدى السلطان العثماني، وكان في مقدمة هؤلاء «لورنس اوليفانت» (L.Oliphant)

---

(١) N. Mandel; *Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine (1882-1914)*, P. 80.

الذي طلب بدوره وساطة السفير الأميركي . ولكن هذه الجهود لم تكن السلطات العثمانية عن التمسك بقانون منع اليهود من الإقامة بفلسطين<sup>(١)</sup> . وبسبب ازدياد شكوك السلطان عبد الحميد الثاني بالتحرك الصهيوني أفهم المبعوث اليهودي « أوليفانت » بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين ولكنها لا ترحب باقامة مملكة لليهود في فلسطين يكون أساسها الدين<sup>(٢)</sup> .

والحقيقة فان « أوليفانت » صدم من موقف السلطان العثماني وراح ينشر الدعايات ضده ، فما كان من السلطان إلا أن طرده من استانبول ومنعه من دخولها ، فأخذ المبعوث الصهيوني يكرر محاولاته ثانية ووسط « استراوس » - وزير أمريكا المفوض في استانبول - الذي اجتمع بالسلطان لاقتناعه بالهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولكن السلطان أفهمه صراحة أن لا أمل ببقاء اليهود في فلسطين .

والجدير بالذكر أنه خلافاً للموقف العثماني الرسمي الممثل بالسلطان وحكومته ، فان الادارة العثمانية المحلية في فلسطين كانت تتحايل على القانون وتتعاون مع القناصل الأجانب والمهاجرين اليهود لتسهيل دخولهم إلى فلسطين دون تسجيل أسمائهم على اللائحة الخاصة بالزوار للأماكن المقدسة . وهكذا استمرت الهجرة اليهودية عن طريق رشوة الموظفين العثمانيين ومعونة قناصل الدول الأجنبية ، لا سيما القناصل الروس والألمان والانجليز والأمريكيين .

وبين الأعوام ( ١٨٧٦ - ١٨٨٨ ) عينت الحكومة العثمانية « رؤوف باشا » متصرفاً على القدس ، وكان رجلاً مستقيماً نظيف اليد ، فبدأ يرسل بين الحين والآخر القوات العثمانية للبحث عن اليهود المقيمين بطريقة غير قانونية ، وذلك لطردهم من فلسطين . وكان « رؤوف باشا » يعي تماماً أنه انتشرت بين اليهود أحلام العودة إلى فلسطين ، وأن ما يفعله ضد المستعمرات اليهودية إنما لازالة هذا الحلم . وكثيراً ما تنازع مع القنصلين الروسي والألماني بسبب احتجاجاتها المتكررة ضده بسبب ملاحقاته للمهاجرين اليهود . والواقع أنه كان لردود الفعل العربية أيضاً أثر واضح في سياسة « رؤوف باشا » حين

N. Mandel; *op. cit.*, P. 80

(١)

(٢) فرانك مانويل: بين أمريكا وفلسطين، ص ٢٥

اجتمع أكثر من مرة مع المتنورين من العرب الذين أبدوا معارضتهم للهجرة اليهودية سواء بتقديم العرائض أو بالهجمات على المستوطنات اليهودية<sup>(١)</sup>.

وفي شباط (فبراير) عام ١٨٨٧ صدرت أوامر جديدة بشأن الهجرة اليهودية وجهت إلى متصرفي القدس ويافا تعلمهم بأنه يسمح لليهود بالدخول إلى البلاد كحجاج أو زوار فحسب، وعلى كل يهودي يصل إلى يافا أن يدفع (٥٠) ليرة تركية لقاء تعهد بمغادرة فلسطين خلال ٣١ يوماً<sup>(٢)</sup>. وجاء هذا القرار منسجماً مع قرار الباب العالي الذي استهدف وضع حد لتيار الهجرة اليهودية الذي أخذ يتدفق على فلسطين، لا سيما بعد أن تحقق الباب العالي من الخطر الذي يكمن وراء استيطان اليهود بأعداد كبيرة في فلسطين<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ١٨٨٨ أصدر الباب العالي قوانين جديدة نصت على ضرورة حمل اليهود الأجانب جوازات سفر توضح عقيدتهم اليهودية كي تمنحهم سلطات الميناء تصريحاً لزيارة المتصرفية لمدة ثلاثة شهور، كما رفضت السلطات العثمانية في ميناء يافا السماح بدخول اليهود الذين لم يحصلوا على سمات دخول من القناصل العثمانيين في بلادهم<sup>(٤)</sup>. وكان هذا القرار رداً صريحاً على موقف القناصل الاجانب من محاولاتهم المستمرة لتعطيل فعالية القوانين العثمانية الخاصة باليهود، وتكريساً للموقف العثماني من الهجرة اليهودية، فكان أن أوعزت الحكومة العثمانية إلى قناصلها في مختلف البلاد عدم التأشير على جوازات سفر اليهود إلا بداعي الزيارة الدينية ولمدة محدودة. ومن أجل ذلك احتجت بريطانيا على قوانين عام ١٨٨٨، فأوضحت الحكومة العثمانية لسفارتها في استانبول في تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه، أن اجراءات المنع لن تطبق إلا بحق اليهود الانجليز الذين يأتون إلى فلسطين بأعداد كبيرة وليس بحق الذين يأتون فرادى<sup>(٥)</sup>.

ونظراً لموقف السلطان عبد الحميد الثاني الرافض لكل الوساطات الأوروبية

---

E. Golomb; *The History of Jewish Self-Defence in Palestine 1878-1921*, pp. 11, (١)  
13.

A. Hyamson; *The British Consulate in Jerusalem...* P. 558. (٢)

Blesh to O'Conor, 16 Nov. 1907, No. 40 321/62, in F.O. 371/356. (٣)

N. T. Morre to W. A. White, 29 May 1888, No. 15, in F.O. 195/1612. (٤)

Dickson to A. Nicolson, 25 Aug. 1893, No. 46, in F.O. 195/1806. (٥)

بشأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد قرر الزعيم الصهيوني « تيودور هرتزل » (Herzl) السفر بنفسه إلى الآستانة للقاء السلطان لعرض المساعدات المالية اليهودية، وقد وصلها في ١٨ حزيران (يونيه) عام ١٨٩٦، واتصل بقوى عثمانية سياسية عليا لتحقيق التطلعات الصهيونية، ولكن « نيولنسكي » لصحفي النمساوي وصديق هرتزل نقل إليه موقف السلطان العثماني. ويعتبر هذا الموقف ذروة المعارضة العثمانية للاستيطان اليهودي في فلسطين. وقد دونه هرتزل نفسه في مذكراته حينما قال السلطان عبد الحميد الثاني: « لا أقدر أن بيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي. لقد حصل شعبي نلى هذه الامبراطورية باراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نخطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفي فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في « بلفنه »<sup>(١)</sup> لأن حداً منهم لن يرضى بالتسليم، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الامبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها. ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا جيشنا ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان »<sup>(٢)</sup>.

وبعد مضي حوالي شهرين من رحلة هرتزل، حاول من جديد الاتصال بالأوساط العثمانية لعرض مشروع جديد يتضمن مغريات مالية مضاعفة فعرض إقراض الدولة العثمانية مبلغ عشرين مليون جنيه استرليني لا تعيدها مطلقاً، وإنما تحسمها من رسم الضرائب التي تفرض على المهاجرين اليهود إلى فلسطين بمعدل مئة ألف جنيه استرليني في السنة الأولى، ثم تزداد إلى مليون جنيه استرليني سنوياً وتتصاعد الضرائب كلما تضاعفت الهجرة، ومقابل هذا القرض يسمح جلالته بالامتيازات التالية: « الهجرة اليهودية إلى فلسطين التي لا تكون فقط غير محدودة، بل أيضاً تشجعها الحكومة السلطانية بكل وسيلة ممكنة،

(١) بلفنه: مدينة هامة استراتيجية تقع على ملتقى الطرق الرئيسية بين مضائق جبال البلقان وبلغاريا الغربية والبطونة. وقعت فيها معركة عسكرية بين العثمانيين والروس في آب (اغسطس) ١٨٧٧ م - رجب ١٢٩٤ هـ وقد أبلى العثمانيون فيها بلاء حسناً.

(٢) يوميات هرتزل، ١٩ حزيران (يونيه) ١٨٩٦، ص ٣٧٨، الترجمة العربية ص ٣٥.

ويعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتي المضمون في القانون الدولي، في الدستور والحكومة وإدارة العدل في الأرض التي تقرر لهم . فلسطين كدولة شبه مستقلة»<sup>(١)</sup> .

ولكن السلطان العثماني رفض هذا العرض الصهيوني، وفضل القروض الأوروبية رغم سيئاتها، وذلك للحيلولة دون خضوع الدولة العثمانية للضغوط المالية الصهيونية . ولما وصل الخبر لهرتزل بأن الحكومة العثمانية نجحت في اتمام القروض الأوروبية قال معلقاً: « لم أصدق الخبر في البدء، واتصلت هاتفياً بنيولنسكي الذي اكتفى بالتأكيد: إنه أمر سيء لنا»<sup>(١)</sup> .

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في آب (أغسطس) ١٨٩٧ أجرى هرتزل اتصالات مكثفة مع أباطرة وقياسرة أوروبا لاقتاعهم بالمشروع الصهيوني في فلسطين، كما حاول مجدداً الاتصال بالسلطات العثمانية . وفي ٤ شباط (فبراير) عام ١٨٩٨ اجتمع هرتزل بالسفير العثماني في ألمانيا أحد توفيق لبذل وساطته من أجل تحقيق المشروع الصهيوني مقابل القروض المالية اليهودية، فأخبره السفير العثماني صعوبة امتلاك فلسطين، وأشار عليه بإمكانية توطين اليهود في مناطق أخرى من آسيا الصغرى، شرط أن يكون اليهود كسواهم من المواطنين العثمانيين غير مستقلين عن الدولة، وانتهى الاجتماع بعدم الاتفاق بين الطرفين .

والجددير بالذكر أن عام ١٨٩٨ شهد تطوراً جديداً فيما يختص بموقف السلطان عبد الحميد الثاني من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فقد أصدر في حزيران (يونيه) من العام نفسه قوانين جديدة منع بموجبها اليهود الأجانب من دخول القدس، غير أن هذه القوانين لقيت معارضة من القنصليات الأجنبية، فأبرق متصرف القدس إلى الباب العالي يطلب منه تعليمات دقيقة ومحددة حول القوانين الجديدة<sup>(٢)</sup> . فجاء الرد بعد شهرين وبالذات في ٢٥ آب (أغسطس) عام ١٨٩٨ يطلب فيه الصدر الأعظم تنفيذ قوانين الهجرة الخاصة باليهود . وقد أكد القنصل البريطاني في القدس « ديكسون» (Dickson) هذا

(١) يوميات هرتزل، ٢٥ آب (أغسطس) ١٨٩٦، ص ٤٥٧ (ت.ع.ص ٤٥) .

(٢) يوميات هرتزل، ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٧، ص ٥٠٩ (ت.ع.ص ٤٧) .

Dickson (Report) 23 June 1898, No. 33, in F.O. 195/2028.

الواقع فذكر في تقريره بان متصرف القدس قد بعث له برسالة مع سكرتيره يعلمه فيها « أنه تلقى تعليمات من الباب العالي لتطبيق الأنظمة المرعية لدخول اليهود الأجانب إلى القدس - كل اليهود الأجانب - دون تمييز في جنسياتهم، وبالتالي أن تطبق هذه الأنظمة على اليهود البريطانيين، وأن الأنظمة المذكورة تنص على أنه لا يسمح لأي يهودي أجنبي بدخول فلسطين إلا بعد تعهده بدفع التأمين وبمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوماً<sup>(١)</sup>. وقد بلغ من تشدد السلطات العثمانية في تنفيذ هذه القوانين أنها منعت نائب القنصل البريطاني في انطاكية من الدخول ما لم يقدم التعهد المطلوب باعتباره يهودياً<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الفترة وصل تقرير من السفارة البريطانية في القسطنطينية إلى « ديكسون » في القدس رداً على رسالته حول موقف الحكومة العثمانية من مسألة تسجيل الأملاك التي طلب « الاتحاد الإنجليزي - اليهودي » (Anglo Jewish Association) شراءها في القدس، فأوضح السفير البريطاني أنه لا بد من التهرب من القوانين العثمانية ومن أجل ذلك « فاني أحيطكم علماً بأني اقترحت على سكرتير صاحب الجلالة الأول للشؤون الخارجية، العمل بنصيحة الاتحاد الأنجلو - يهودي بوضع اسم شخص أو أشخاص ليسوا يهوداً ممن لا تستطيع الحكومة العثمانية الاعتراض على أن يكونوا مشترين للأملاك<sup>(٣)</sup>.

وفما يختص بالهجرة اليهودية فان تشدد السلطان عبد الحميد الثاني لم يكن مقتضراً على القدس الشريف فحسب، بل حدث أن منع قائمقام يافا بعض اليهود الانجليز من دخول البلاد وأعادهم إلى السفينة، كما قام بطرد عائلتين يهوديتين لانتهاء زيارتهما<sup>(٤)</sup>. وكانت مثل هذه القوانين تطبق في مختلف أنحاء فلسطين، غير أن المرتشين من المسؤولين كثيراً ما كانوا يعطلون من فعالية تطبيقها.

ومن الأهمية بمكان القول، بأن هرتزل كان ضد أسلوب الهجرة بالتسلسل، لأن الدولة العثمانية ترفض المشروع الصهيوني وستعمل على طرد المهاجرين

(١) Dickson to Bunsen, 25 August 1898, No. 41, in F.O. 195/2028.

(٢) Dickson to Bunsen, Ibid.

(٣) B.E. in Constantinople to Dickson, 25 August 1898, No. 2 in F.O. 195/2026.

(٤) من رسالة توفيق بك إلى ديكسون نقلاً عن:

A. Hyamson; *The British Consulate in Jerusalem...* vol. II, P. 528.

اليهود. وأمام هذا الواقع رأى أنه لا بد من وجود حماية دولية واعتراف رسمي بالهجرة اليهودية إلى فلسطين أو حتى إلى مناطق أخرى بصورة مؤقتة حتى يتم القضاء على الدولة العثمانية وأنه «ربما استطعنا أن نطالب إنجلترا بقبرص ونفكر في جنوب أفريقيا وأمريكا حتى تنحل تركيا... لقد عرفت منذ وقت عدم الثقة بالأتراك وتوقعتها، لهذا كنت دائماً ضد التسلل. على كل حال ليس هذا قصر نظر مني، أستطيع أن أطلب بدولة يهودية في فلسطين بمحاربة استعمارية على نطاق صغير فقط، ولكن هذا حق، لأن اللحظة الحرجة، التي لاحظت فيها تركيا نية إقامة دولة عند المتسللين سنجد المستعمرين مهاجرين بدون حماية. أما حسب خطتي فالمفاوضات تقوم قبل اجتياز الحدود وهذه طريق أفضل لنا بكثير...»<sup>(١)</sup>.

ولهذا حاول هرتزل مجدداً إجراء اتصالات مع المسؤولين العثمانيين كما أنه وسط لهذه الغاية الامبراطور الألماني غليوم الثاني الذي زار عام ١٨٩٨ الآستانة وبلاد الشرق، ولكن لم يحصل هرتزل والحركة الصهيونية على أية نتيجة تذكر.

وفي ١٣ آب (أغسطس) ١٨٩٩ أرسل هرتزل رسالة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بمناسبة بدء جلسات المؤتمر الصهيوني أوضح فيها «إن الصهيوينيين المجتمعين في مؤتمر بال يعتبرون أن واجبهم الأول هو أن يرفعوا تعهدهم باخلاصهم وتقديرهم للطف جلالته نحو رعاياه اليهود إلى أعتاب عرش جلالته السلطان. إن الصهيوينيين يرغبون في اغاثة أخوانهم التعاء في دول أوروبا المختلفة، وفي الاسهام في عظمة الامبراطورية العثمانية وازدهارها، وأنهم ليأملون باخلاص أن يحظى ولاء هذه الرغبات بتقدير وتشجيع حكمة الخليفة العظيمة»<sup>(٢)</sup>. غير أن الموقف العثماني الثابت من الهجرة اليهودية ومشروع الدولة اليهودية، كان قد ظهر واضحاً منذ سنوات، ولهذا تجاهل السلطان عبد الحميد الثاني المطالب الجديدة، ولم يرسل إليه رسالة جوابية بهذا الخصوص.

والجدير بالذكر أن الزعيم الصهيوني هرتزل استمر في محاولاته دون ملل أو

(١) بومبات هرتزل، أول تموز (يوليه) ١٨٩٨، ص ٦٤٤ (ت. ع. ص ٦٧).

(٢) بومبات هرتزل، ١٣ آب (أغسطس) ١٨٩٩، ص ٨٦٠ (ت. ع. ص ١٤٩).

يأس، بل أنه في ١٣ أيار (مايو) ١٩٠١ توجه إلى استانبول - وكانت ثالث زيارة له بعد زيارته في عامي ١٨٩٦ و ١٨٩٨ - محاولاً الاجتماع بالمسؤولين العثمانيين وبالسلطان العثماني ليس كزعيم صهيوني وإنما كصحافي صهيوني. وبعد مضي خمسة أيام من وصوله إلى استانبول، استطاع الحصول على مقابلة السلطان ولكن « قامبري »<sup>(١)</sup> (Vambery) حذره قبل الاجتماع من الانجراف في آراء مضادة لما يفكر به السلطان وقال له: « إياك أن تحدثه عن الصهيونية. أنها فانوس سحري، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة »<sup>(٢)</sup>.

وفي ١٨ أيار (مايو) عام ١٩٠١ جرت المقابلة بين السلطان وهرتزل الذي حرص على مرافقة حاخام اليهود في تركيا « موسى ليثي » (Moshe Levy) وفي الاجتماع بدأ هرتزل ممالأة واستعطاف السلطان - بواسطة مترجم القصر الخاص ابراهيم بك - وقال له: « إني أكرس نفسي لخدمته لأنه يحسن إلى اليهود، واليهود في العالم كله مدينون له بذلك. وإني بشكل خاص مستعد لتأدية أية خدمة له وخاصة الخدمات الكبيرة... »<sup>(٣)</sup> وأشار إلى الخدمات المالية لاصلاح الاقتصاد العثماني المتدهور وتصفية الديون المقدرة بمليون ونصف مليون جنيه، وعرض توسطه لايقاف حملات صحف « تركيا الفتاة » في أوروبا. ثم لمح إلى أن الحركة الصهيونية تهدف إلى إيجاد « ملجأ لليهود » في الأراضي المقدسة. وكان الحاخام موسى ليثي يؤيد هذا الرأي، فبادره السلطان غاضباً: « إننا نظن بأن بني قومكم يعيشون في الممالك المحروسة الشاهانية بعدالة ورفاهة وأمن... وأضمن أنكم تعاملون نفس المعاملة الحسنة التي يعامل بها كافة تبعتنا دون تفریق أو تمييز ويعيشون في أمن واعتماد. هل لكم شكاية ما أو هنالك معاملة غير عادلة ولا نعرفها نحن؟ » ويضيف المؤرخ التركي جواد رفعت اتلخان - المعاصر للسلطان عبد الحميد - بأن الحاخام موسى ليثي أجاب السلطان بخوف وقال: « استغفر الله سيدنا... بفضل ظل شاهانتكم نعيش بكمال الرفاه. حاشا لا توجد لنا شكاية ما، إننا نسترحم فقط جعل قومنا العائش مشتتين [ مشتت ] فوق الأرض صاحب وطن في ظل شاهانتكم

(١) قامبري: جاسوس عثماني ومستشرق هنغاري، يهودي الأصل، تزوج من أميرة عثمانية ووطد علاقاته مع الباب العالي.

(٢) يوميات هرتزل، ١٨ أيار (مايو) ١٩٠١، ص ١٠٩٢ (ت.ع. ص ١٧٢).

(٣) يوميات هرتزل، ١٨ أيار (مايو) ١٩٠١، ص ١١١٣ (ت.ع. ص ١٧٣).

ليقوموا هناك بفرائض الشكر والدعاء لحياة سيدنا العظيم طول بقاء الدنيا . فرد السلطان منزعجاً : « لا يمكن أن نعمل أكثر مما عملناه حتى الآن لجماعتكم حيث أنكم تستفيدون من كافة خيرات بلادنا كمواطنينا الآخرين، بل أنتم تتعمون ومرهفون أكثر من سواكم، فأظنكم نسيتم الاضطرابات والعذاب - الذي كنت ترونه في أنحاء الدنيا - في أحضان شعبي الشفيق... » ثم وقف السلطان لحظة ودار نظره إلى هرتزل أولاً ثم إلى الحاخام وقال له : « أليس بكذلك يا حاخام افندي ؟ ... إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادها ... لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن نبذل أكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها »<sup>(١)</sup> وأضاف السلطان « إني أحب تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين، ولكن اقامة دولة يهودية في فلسطين التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام فلا... »<sup>(٢)</sup> .

وذكر السلطان أنه لو علم بأن هذا الاجتماع سيدور حول فلسطين لاضطر منذ البدء إلى إلغائه، غير أن الاجتماع انتهى برفض السلطان اعطاء فلسطين لليهود. وقد علق هرتزل على هذا الاجتماع بكثير من الاتهامات، غير أنه أبدى إعجابه بالسلطان حينما قال: لقد تأثرت بأقوال السلطان التي تتسم بالحقيقة والفخر، بالرغم من أنها تضع في الوقت الحاضر نهاية لكل آمالي<sup>(٣)</sup> .

وفي ١٢ شباط (فبراير) عام ١٩٠٢ سافر « هرتزل » إلى استانبول في زيارة رابعة، ولكنه لم يستطع في هذه المرة مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني، غير أنه اجتمع مع ابراهيم بك وعزت بك. وفي هذا الاجتماع تبين بأن الحكومة العثمانية تقبل القروض من البيوتات المالية اليهودية، ولكن لا يعني ذلك قبولها بانشاء الدولة اليهودية في فلسطين، بل أن ابراهيم بك افهم هرتزل بأنه إذا جاء اليهود إلى أراضي الدولة فانهم سيخضعون للقوانين العثمانية ويتخلون عن جنسياتهم السابقة ويصبحون رعايا عثمانيين، وأن الدولة هي التي

(١) جواد رفعت اتلخان: الخطر المحيط بالاسلام، الصهيونية وبروتوكولاتها، ص ١٢١، ١٢٣، ١٢٤. وللمزيد من التفصيلات عن معاملة السلطان عبد الحميد الثاني الحسنة لليهود انظر:

*The Jewish Encyclopedia*, vol. I, P. 47.

(٢) جواد رفعت اتلخان: الاسلام وبنو اسرائيل، ص ١٥٢ (كتاب غير منشور).

A. Chouraqui; *Theodor Herzl*, P. 148.

(٣)

ستعين المناطق التي سيسكنها اليهود كالعراق وآسيا الصغرى باستثناء فلسطين .  
واستمر هرتزل ينشط على الصعيد العثماني والأوروبي لتحقيق التطلعات  
الصهيونية، فاجتمع في ١٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٣ باللورد  
« روتشيلد » في لندن لتأمين الأموال لعملية الاستعمار اليهودي . وفي ٢٣  
نيسان (ابريل) ١٩٠٣ قابل هرتزل « تشمبرلن » (Chamberlin) وزير  
المستعمرات البريطانية طالباً مساعدته، غير أن الوزير البريطاني بادره بالقول  
«أذن بريطانيا تفكر في اسكان اليهود في أوغندا، غير أن هرتزل رفض هذا  
الاقتراح .

وفي ٢٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٤ سافر هرتزل إلى روما وقابل  
وزير خارجية القاتيكان الكاردينال « ميرري دي قال » وطلب منه تأييد البابا  
بيوس العاشر للصهيونية لأن القدس ستبقى « خارج نطاق حكمنا » على حد  
قول هرتزل، غير أن الوزير دي قال أعلن موقف البابوية السابق وهو رفضه  
لايديولوجية الحركة الصهيونية . وفي ٢٣ كانون الثاني (يناير) من العام نفسه  
قابل هرتزل ملك إيطاليا الذي أبدى عطفاً على المشروع الصهيوني وشجع  
هرتزل على المضي في مشروعه .

والواقع فان هرتزل بدأ يلقي في هذه الفترة التأييد من الأوساط البريطانية  
والايطالية والروسية والنمساوية وحتى الألمانية أيضاً، وذلك لأسباب استعمارية  
ولتقويض أركان السلطنة العثمانية، وطلب من هذه الأوساط التدخل لدى  
السلطان عبد الحميد الثاني ليقبل بالفكرة الصهيونية مقابل إيفاء الديون  
العثمانية . ولكن السلطان أفهم مجدداً وسطاء هرتزل رفضه للمشروع الصهيوني  
وقال: « انصحوا الدكتور هرتزل بالألا يتخذ خطوات جديدة في هذا  
الموضوع . إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست  
ملك يميني بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها  
بدمه، فليحفظ اليهود بملايينهم . إذا مزقت امبراطوريتي فعلهم يستطيعون  
آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في  
جثتنا، وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة » .

ومن الواضح أن هذا القرار السلطاني أثر تأثيراً مباشراً على المنظمة  
الصهيونية، بل وعلى الدول الأوروبية حيث رأت أن السلطان عبد الحميد الثاني

لم يغير مواقفه من الاستيطان اليهودي، وهذا مما يؤثر على تطلعاتها مباشرة. وكان الموقف الذي اتخذته السلطان نتيجة قناعة وشعور منه بأن الهدف من تدخل الدول الأوروبية في المسألة اليهودية هو زرع شعب غريب في الأراضي المقدسة من الدولة العثمانية والعمل على اضعافها ليجري تقسيمها والسيطرة على جميع مناطقها. وللدلالة على ذلك ما اتخذته الحكومة البريطانية من موقف معارض ومستمر للقوانين العثمانية الخاصة بالهجرة اليهودية، فقد أوعزت إلى قنصلها في القدس في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٤ « إلى أن الحكومة البريطانية لن تقبل قوانين الهجرة، ومن أجل ذلك لا يمكن ارغام اليهود الانجليز على مغادرة البلاد<sup>(١)</sup> » ولكن الحكومة العثمانية أصرت بدورها على تنفيذ قوانينها الخاصة بالهجرة وبيع الأراضي سواء لليهود أو للشركات الأجنبية اليهودية، كما منعت باجراء معاملات نقل الملكية إليها، ففي عام ١٩٠٤ تمسكت الحكومة العثمانية بقرار منع بيع الأراضي والعقارات في فلسطين إلى اليهود من جميع الجنسيات، لأن معظم اليهود الأجانب كانوا يأتون إلى فلسطين بغرض شراء الأراضي والاقامة الدائمة<sup>(٢)</sup>.

وتذكر بعض المصادر الصهيونية أنه بسبب الموقف العثماني المتصلب من المشروع الصهيوني، عرض على هرتزل اقتراح لا يمكن للصهيونية أن تحقق مشروعها بدونها، وهو يقضي بأن يبحر هرتزل إلى البوسفور في سفينتين وينسف قصر « يلدز » ويعمل على اتاحة الفرصة للسلطان عبد الحميد بالهرب أو القبض عليه وتعيين سلطان آخر بدلاً منه. ورغم غرابة الاقتراح فقد درسه هرتزل وقدر تكاليفه وفكر بعواقب فشله. وقد طرحت الفكرة في ٢٤ شباط (فبراير) عام ١٩٠٤ وقرر هرتزل اللجوء إليها إذا فشلت مساعيه الأخيرة السلمية في استانبول. غير أنه سرعان ما بدل رأيه بسبب خشيته من قيام مذبحه هائلة يميني بها اليهود في الدولة العثمانية إذا فشل المشروع<sup>(٣)</sup>.

والواقع فان هرتزل ظل حتى آخر أيامه يسعى بشكل دؤوب من أجل

(١) Dickson to O'Conor, 17 April 1904, No. 20, in F.O.195/2106.

(٢) Dickson to O'Conor, 12 oct. 1904, No. 64, in F.O.195/2175.

(٣) انظر: يوميات هرتزل، ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٠٤، ص ١٦١٤، ١٦١٩، ١٦٢١ (ت.ع. ص ٣٥٦-٣٥٩). انظر أيضاً:

N.Mandel, *op.cit*; P. 105.

تحقيق المشروع الصهيوني، وبوفاته في ١٦ أيار (مايو) عام ١٩٠٤ فقدت الحركة الصهيونية زعيماً نشيطاً لها وطويت بوفاته صفحة نشطة من التحرك الصهيوني .

وفي الفترة الممتدة بين ١٩٠٥ - ١٩٠٨ شهدت الحركة الصهيونية نشاطاً جديداً بقيادة ماكس نوردو (M. Nordeau) وحاييم وايزمان (Ch. Weizmann) وسواهما، وذلك على الأصعدة الدولية والعثمانية، وفي المقابل فإن الموقف العثماني استمر على حاله من المشروع الصهيوني. ولهذا فإن مؤتمر كامبل بانرمان « الاستعماري الذي عقد في عام ١٩٠٧، إنما كان الهدف منه تفتيت الدولة العثمانية وتقويض أركانها وذلك بالموافقة على إيجاد الدولة اليهودية في فلسطين، والعمل على تغيير النظام والحكيم العثماني، وكان التعاون الصهيوني - الدولي قد بدأ يتضح تدريجياً لتحقيق هذه المشروعات .

# دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ( ١٩٠٨ - ١٩٠٩ )

- ١ - السياسة الاسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني .
- ٢ - السياسة الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني .
- ٣ - الوفاق الصهيوني - النوبي - الهلبى لخلع السلطان عبد الحميد الثاني .
- ٤ - دور اليهود في ثورة عام ١٩٠٨ ودورهم في خلع السلطان عام ١٩٠٩ .



## ١ - السياسة الاسلامية للسلطان عبد الحميد الثاني

أدرك السلطان « عبد الحميد الثاني » ، أنه لا يمكن بقاء الدولة العثمانية - لا سيما بعد ظهور تدهور أوضاعها - إلا بالاعتماد على المسلمين والعرب وتأييدهم في مواجهة التدخل الأوروبي في شؤون الدولة . وكانت سياسته تقضي بالحفاظ على ما تبقى من ولايات في حوزة الامبراطورية العثمانية ، وكان معنى ذلك أن لا يثير غضب المسلمين والعرب في ممارسة نشاطاته السياسية . ولما كانت الحركة الصهيونية تسعى لدى الحكومة العثمانية بتحقيق مشروع استيطان فلسطين ، كان المسلمون والعرب يرون في هذه المباحثات امتحاناً عملياً لإخلاء السلطان نحوهم ونحو « قدسهم » . وقد حدد كثير منهم موقفه تجاه عبد الحميد من خلال قوانين الهجرة اليهودية ، ومن خلال موقفه من مشروع « هرتزل » ، ومن هنا جاء رد السلطان بعدم الموافقة على هذا المشروع .

ويرى البعض بأن السبب في رفضه المشروع الصهيوني هو لرغبته في تجنب إثارة العرب من جهة ، ولتجربته مع الأقليات ، ولهذا فهو لا يريد أقلية جديدة تتبعه من جهة ثانية<sup>(١)</sup> . ثم ان السلطان كان يعاني في هذه الفترة من نمو الشعور القومي لدى قوميات عديدة في امبراطوريته مثل : القومية العربية ، القومية البلغارية ، اليونانية ، الأرمنية ، والسلافية ، ولذلك فإن أعطى اليهود أية امتيازات في فلسطين فمعنى ذلك انه يخلق لنفسه مشكلة قومية جديدة . وكثيراً ما حاولت الأقليات في الدولة العثمانية أن تبرز نشاطها وتسعى لاستقلالها السياسي والثقافي والاجتماعي ،

(١) هاني الهندي : حول الصهيونية وامرائيل ، ص ٥٤ .

وكثيراً ما عانت الدولة من مشكلة الأقليات التي حاول السلطان عبد الحميد «عزيمتها»، إلا أن أكثرها رفض الإنصهار بحكم نزعاتها الاستقلالية، فكانت الدولة تحارب هذه الاتجاهات سواء العربية أو الأرمنية، حتى أنه كانت هناك نزعة استقلالية آرامية - وإن كانت ذات فعالية بسيطة - ويذكر بأن «نعم فائق»<sup>(١)</sup> الآرامي حاول إعادة تراث وحضارة الآراميين، فلم يجد الجو السياسي الملائم، ويقول فيليب دي طرزي<sup>(٢)</sup> عنه أنه «لما رأى هذا الصحافي الآرامي الفاضل أن النجاح لا يتوفر لمهنته في دائرة وطنه تحت لواء الدولة العثمانية حول نظره إلى العالم الجديد ليشتغل في بلاد الحضارة تحت سماء الحرية، فسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهناك استعان بما رزقه الله من النشاط وتوقّد الذهن على دعوة أمته إلى التنبه من غفلتها لاسترجاع سابق عزاها. ولم يلبث أن جدد هناك نشر جريدته «بين النهرين»، وهي باكورة الصحف السريانية التي ظهرت في البلاد الأمريكية»<sup>(٣)</sup>.

هذا بالنسبة لمحاولات الأقليات الإستقلالية، أما بالنسبة للمشروع الصهيوني فقد أثبتت الأحداث السياسية بأن السلطان عبد الحميد الثاني لم يرفضه لتخوفه من وجود أقلية جديدة فحسب، وإنما كانت هناك أسباب عديدة في مقدمتها:

١ - ردود الفعل العربية الفلسطينية ضد الهجرة اليهودية، بعد أن تزايدت خطورتها على المواطنين العرب.

(١) نعم فائق (١٨٥٦ - ؟) صحافي آرامي سرياني، حاول بعث اللغة والآداب والتاريخ السرياني، وأنشأ في ديار بكر جريدة «بين النهرين» وكان يطبعها باللغات الآرامية والعربية والتركية بجرّوف سريانية. وفي عام ١٨٩٦ تعرف على فيليب دي طرزي في بيروت وذلك قبل سفره إلى أمريكا.

(٢) الكونت فيليب دي طرزي، وهو من مواليد بيروت ١٨٥٦، وكان له الفضل في تأسيس دار الكتب الوطنية ببيروت، له مؤلفات ومخطوطات عديدة منها على سبيل المثال:

١ - تاريخ الصحافة العربية، بيروت ١٩١٣.

٢ - السلاسل التاريخية في أساقفة الأبرشيات السريانية، بيروت ١٩١٠.

(٣) الكونت فيليب دي طرزي: القول الصادق في الأستاذ نعم فائق، ص ٢، رقم المخطوط ١٢٨ - دار الكتب الوطنية - بيروت.

حول الأقليات في الدولة العثمانية أنظر أيضاً: حنا أبي راشد: جبل الدرّوز، الطبعة الأولى، مصر ١٩٢٥. د. ك. ل. استارجيان: تاريخ الأمة الأرمنية، الموصل ١٩٥١.

- ٢ - شعور السلطان العثماني بخطورة الحركة الصهيونية وأطماعها في فلسطين .  
٣ - دور الجامعة الإسلامية والمشاعر التي انبثقت عنها .

والجدير بالذكر ، أنه أثناء مفاوضات هرتزل مع المسؤولين العثمانيين أدرك السلطان أن هناك مشاعر إسلامية ضد المشروع الصهيوني تزداد قوة يوماً بعد يوم أكثر مما توقع ، ومن أجل ذلك قطع وعداً استجابة للاحتجاجات التي صدرت عن فلسطين بأنه سيفرض رقابة على الهجرة اليهودية<sup>(١)</sup> . ومما يؤكد ذلك الجهد الذي بذله السلطان من أجل انتزاع حينا من حكومة خديوي مصر عباس حلمي (١٨٩٢ - ١٩١٤) بهدف الحفاظ على سيناء بعيدة عن متناول الصهيونية ، لأن محاولة إستيطان اليهود في العريش كانت بمثابة نقطة وثوب إلى فلسطين . بل ان السلطان كان مطالباً أيضاً في هذه الفترة باستعادة مصر كلها من أيدي الإنجليز ، وتجلت هذه المطالبة عندما حددها « جمال الدين الأفغاني »<sup>(٢)</sup> بقوله : « إن مصر بحدودها الطبيعية وملحقاتها تعدُّ من الأملاك العثمانية ؛ وإنه لا يسمح للخديوي أن يتنازل عن قطعة أرض منها صغرت أو كبرت لأجنبي كائناً من كان لأي سبب ولا بأي وجه ، ولا يسوغ له أن يتخلى عن شيء من الامتيازات الممنوحة لمصر مهما كانت الأسباب والحوادث ... »<sup>(٣)</sup> . وفي معرض مطالبته بخضوع مصر للسيطرة العثمانية حذر خديوي مصر بأنه يجب عليه أن يلتزم بالمعاهدات والفرامانات السلطانية ، وأن لا يفرط بعثمانية مصر .

والواقع أن جمال الدين الأفغاني كان مدركاً أهمية مصر بالنسبة لمصير

(١) جفريز : فلسطين اليكم الحقيقة ، ص ٨٣ .

(٢) جمال الدين الأفغاني : ( ١٨٣٨ - ١٨٩٧ ) من مواليد كابل في أفغان . سافر الى الهند بعد اتمام علومه في أفغان ، ثم توجه الى الحجاز عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م لأداء فريضة الحج . وفي عام ١٨٧١ توجه الى مصر ، ومكث فيها ثماني سنوات وكانت فترة مليئة بالنشاط السياسي والديني . وفي عام ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م سافر الى الآستانة حيث استقر في بلاط السلطان عبد الحميد الثاني لمدة خمس سنوات . وفي عام ١٨٨٣ اتجه الى أوروبا حيث زار لندن وباريس ثم زارها ثانية عام ١٨٩٢ . هاجم الاستعمار الإنجليزي بشكل بارز وفعال ، وطالب بضرورة تنفيذ الوحدة الإسلامية . وقد طارده السلطات البريطانية في مصر وغيرها من المناطق التي زارها وعطلت مجلته « العروة الوثقى » وهي لا تزال في مهدها ووضعت المقبات في طريقه أينما سار .

(٣) جمال الدين الأفغاني - محمد عبده : العروة الوثقى ، ص ٢٢٦ .

ومستقبل بلاد الشام ، ومن هنا كانت مطالبته مع الشيخ محمد عبده بإبقائها تابعة للدولة العثمانية وضرورة جلاء الأنجليز عنها فقد قال : « أما الدولة العثمانية فلو حولت النظر عن حقوقها الثابتة في الأراضي المصرية من وجوه كثيرة فليس يخفى علينا أن الولاية على تلك الأراضي هي الركن الأعظم للسلطة العثمانية في سوريا ، وقسم عظيم مما يتصل بها من آسيا الصغرى وفي الحجاز واليمن فمن المفروض على العثمانيين أن يبذلوا وسعهم لصيانة مصر دفاعاً عن حقوقهم المقررة وحفظاً لشوكتهم في معظم ممالكهم ، ولا يسوغ لهم شرائع الملك أن يفرطوا في المسألة المصرية لا في جزئي منها ولا كلي ، فان مصر عقدة تتصل بها أطراف السلطنة العثمانية فإذا انحلت فقد انحلت - والعباد بالله - سائر العقد » (١) .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان السلطان عبد الحميد الثاني يدرك أهمية مصر بالنسبة لمستقبل فلسطين ، ومن أجل ذلك كانت محاولاته الدائمة لإعادة سيطرته الفعلية عليها ، إلا أن الظروف السياسية والعسكرية وتمسك الإنجليز بها حال دون تحقيق ذلك . غير أنه يمكن القول أيضاً بأن رفض السلطان للشروع الصهيوني إنما يرجع إلى تزعمه لحركة « الجامعة الإسلامية » التي رفع لواءها . حقيقة كانت فكرة الجامعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية ، ولكن كيف يستطيع عبد الحميد أن يفسر للمسلمين والعرب قبوله توطين اليهود ؟ وكيف يقنعهم ببيع الأراضي المقدسة لهذه الجماعات ؟ الواقع أن السلطان عبد الحميد كان يخشى غضب الرأي العام الإسلامي . ومما يدل على ذلك حرصه الدائم على إبقاء علاقاته طيبة مع المسلمين والعرب منهم بالذات ، ويذكر في معرض انتقاده لسياسة مدحت باشا - الصدر الأعظم - الإسلامية فيقول : « إن مدحت باشا قد ولّى المناصب الكبرى المسيحيين والروم في المناطق الواقعة خارج تركيا والخاضعة للإمبراطورية العثمانية . ان مثل هذه الأعمال تؤلب المسلمين علينا » (٢) .

والجدير بالذكر أن « الجامعة الإسلامية » كانت في حقيقة ذاتها أداة دينية لتقوية سلطة عبد الحميد السياسية في العالمين العربي والإسلامي ، وبواسطتها استطاع أن يحتفظ بولاء العناصر الإسلامية غير التركية داخل

(١) جمال الدين الأفغاني - محمد عبده : المصدر السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢) Sultan Abdül Hamid, in: *Hatira Defteri*, (٢)

الأمبراطورية العثمانية ، واستطاع أيضاً أن يكسب إلى جانبه جميع المسلمين خارج حدودها<sup>(١)</sup>. ومن أجل ذلك - ولفترة طويلة - اعتمد في حكمه على مجموعة من المسلمين العرب وغير العرب ومنهم عزت باشا العابد وأبو الهدى الصيادي وسليم باشا ونجيب باشا ملحمه ، وكان لجمال الدين الأفغاني دورٌ مؤثرٌ في سياسة السلطان ، فبعد ان كان خصماً عنيداً لسياسة عبد الحميد إذا به يبدل رأيه فيه ويؤيد سياسته ، ثم رأى أن الأهانة التي تمس الدولة العثمانية تنال جميع المسلمين في الشرق والغرب<sup>(٢)</sup>.

وكان « جمال الدين الأفغاني » يناهض الإستعمار الأوروبي في المناطق الإسلامية الخاضعة للنفوذ الأوروبي ، وخص باهتمامه مصر ، ورأى أن نشاط السلطان وغيره وممته هي التي أثارت روح الأنفة عند المصريين ودعتهم للتخلص من تسلط الإنجليز بعزيمة ثابتة وقلوب غير واجفة<sup>(٣)</sup>. وكان « الأفغاني » يحاول أن يوقف الزحف الأوروبي عامة والبريطاني خاصة عن طريق القوة المنظمة للحكومات الإسلامية ، وكانت حركة الجامعة الإسلامية تدعو إلى ضرورة وحدة المسلمين شعبياً وحكومات للوقوف في وجه التيار الأوروبي الزاحف . ولذلك اعتمد الأفغاني على تعاضد المسلمين ووحدهم واستند على أسس إسلامية وعمل على الصعيد السياسي مباشرة ضد النفوذ الأوروبي المتغلغل ، إلى جانب الدعوة الإصلاحية ضد المساويء الدينية والإجتماعية التي دخلت المجتمعات الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

ولما وافق السلطان « عبد الحميد الثاني » على المطالب الإسلامية اخذ الأفغاني يؤيد السلطان ويقول فيه : « رأيتَه يعلم دقائق الأمور السياسية ومرامي الدول الغربية ، وهو معد لكل هوة تطرأ على الملك مخرجاً وسلاماً . وأعظم ما أوحشني ما أعده من خفي الوسائل وأمضى العوامل كيلا تنفق أوروبا على عمل خطير في الممالك العثمانية ، ويربها عياناً محسوساً ان تجزئة السلطنة العثمانية لا يمكن إلا بخراب يعم الممالك الأوروبية بأسرها... »<sup>(٥)</sup> ورأى الأفغاني ان السلطان رجل داهية إذ انه كلما

(١) فيليب حق : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٢) جمال الدين الأفغاني - محمد عبده : العروة الوثقى ، ص ٢٧٢ .

(٣) جمال الدين الأفغاني - محمد عبده : المصدر نفسه ، ص ٣١٢ .

(٤) محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٤ ، ص ٢٤١ .

(٥) محمد باشا الخزومي : خاطرات جمال الدين الأفغاني ، ص ٣٥ .

حاولت أوروبا أن تجمع كلمة البلقان للخروج على سيادة الدولة مجرب تقيماً كان السلطان يسارع بدهائه لحل ما ربطوه وتفرقت ما جمعه من كلفة وخطط . ويرى الأفغاني أن السبب الذي دعاه إلى تأييد السلطان ومبايعته هو حرص السلطان على التصدي للدول الأوروبية وتأييده لهزيمة المسلمين ، ويقول الأفغاني في هذا الصدد : « ... أما ما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره واعداده العدة اللازمة لإبطال مكيد أوروبا وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة - الذي فيه نهضة المسلمين عموماً - فقد دفعني إلى مد يدي له فبايعته بالملك والخلافة » (١) .

وكانت « الجامعة الإسلامية » قد قوت من شوكة السلطان عبد الحميد ، باعتباره يمثل المسلمين ورافع لواء الجامعة . وقد رأت أوروبا أن السلطان العثماني استطاع استغلال المشاعر الدينية عند رعاياه خاصة وعند المسلمين عامة ، وبواسطة هذا الإستغلال يستطيع أن يهدد النفوذ الأوروبي ليس في المناطق العثمانية فحسب وإنما أيضاً في المناطق الإسلامية الخاضعة مباشرة للحكومات الأوروبية ، وبالفعل فقد بدأ السلطان يهدد الدول الأوروبية بنصرة العالم الإسلامي لمنصب الخلافة ، فالمسلمون في ألبانيا يهدد بهم النمسا ، والمسلمون التتر والأكراد يهدد بهم روسيا ، والمسلمون في الهند يهدد بهم إنجلترا ، والمسلمون في الغرب يهدد بهم فرنسا (٢) .

والواقع أن السلطان عبد الحميد استطاع الإفادة من « الجامعة الإسلامية » والأفكار التي انبثقت عنها ، ونظراً لما لسه من مشاعر قد تفيد في الميادين السياسية والعسكرية ، عمد إلى المضي بسياسته الإسلامية ، بل لقد أدى به الأمر إلى الانتساب إلى الطرق الصوفية الإسلامية لإرضاء نزعات بعض المسلمين وكسب تأييدهم .

ويوضح السلطان « عبد الحميد الثاني » الأسباب التي دعت إلى الوقوف في وجه الهجرة اليهودية فيقول في مذكراته « إنه كان لا بد من إشغال الأراضي الخالية من السكان في داخل امبراطوريتنا (Dahili Iskân) وكان علينا أن نتبع طريقة تهجير مناسبة ، ولكننا لم نجد أن هجرة اليهود مناسبة ، لأننا لا نريد أن نزرع في أرضنا سكاناً لا ينتمون إلى نفس

(١) محمد باشا الخزمي : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٢) محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

ديننا وعاداتنا حتى لا نغكنهم من السيطرة على الحكم ، ولذلك نقبل ان يكون المهاجرون من نفس الدين والايمان وواجبنا يحتم علينا تقوية العنصر التركي المسلم ، وإلى تشجيع هجرة المسلمين إلى البوسنة والهرسك وبلغاريا والعمل لاستيطانهم فيها ...»<sup>(١)</sup>. ويلخص السلطان سياسته تجاه فلسطين والعرب المسلمين بتوقعات يرى في حدوثها نكبة على الأراضي المقدسة وأهلها فقد أوضح « أن دولاً أوروبية كثيرة أرادت التخلص من اليهود وأيدت هجرتهم إلى فلسطين ، ولكن في دولتنا عدد كبير من اليهود ، فإذا كنا نريد أن يستمر العنصر العربي الإسلامي متفوقاً في فلسطين يجب أن لا نسمح بهجرة اليهود إليها ، وإذا كان الأمر عكس ذلك وسمحنا بالهجرة فإنهم بفترة قصيرة يسيطرون على الحكم وتصبح فلسطين تحت سيطرتهم ، ونكون بذلك قد قضينا بأيدينا على عنصر ديننا بالموت الأكيد»<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد لعبت سياسة « عبد الحميد الثاني » دوراً مؤثراً في وقف الهجرة اليهودية إلى الأراضي المقدسة أتبعها بسلسلة من القرارات السلطانية طلب فيها من موظفي الادارة العثمانية أن يطبقوها بحذافيرها ، في الوقت الذي كان فيه زعماء المنظمة الصهيونية يطلبون في مفاوضاتهم مع السلطان الحصول على وثيقة رسمية تعلن قبول القادمين اليهود دون قيد أو شرط على أن يعلن ذلك السلطان نفسه . ولكن السلطان - كما هو معلوم - رفض مثل هذه الأمور لأسباب عديدة ، وتلوقع الدولة العثمانية بالنسبة إلى شعوب العالمين العربي والإسلامي ، لا سيما وان بعضاً من المسلمين والعرب كانوا يرون فيها ضماناً لحمايتهم واستقلالهم عن الدول الأوروبية ، ذلك أنه في عام ١٨٩٨ نشر الزعيم المصري « مصطفى كامل » كتاباً بعنوان « المسألة الشرقية » أكد فيه ضرورة الحفاظ على الدولة العثمانية ودعا إلى تأييدها والالتفاف حول رايتها ، لأنها هي الدولة الوحيدة التي يمكن أن تحارب الإمبراطورية البريطانية في مصر وبقية المناطق الإسلامية والعربية وذكر « أن بقاء الدولة العلية ضروري للنوع البشري ، وان في بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب وأمم الشرق»<sup>(٣)</sup>.

(١) Sultan Abdul Hamit; *Siyasi Hâtiirâlim*, p. 57.

(٢) *Ibid.*, p. 60.

(٣) مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، ص ١٣ . صفحات متفرقة من الكتاب .

وامتداداً لسياسة « الجامعة الإسلامية » بدأ السلطان بتنفيذ مشروع خط سكة حديد الحجاز في ربيع عام ١٩٠١ وانتهى في خريف عام ١٩٠٨ ، حيث أوصل القسطنطينية بالمدينة المنورة ، مخترقاً سورياً من الشمال إلى الجنوب ، فكان ما أنفق على هذا المشروع ثلاثة ملايين ليرة ، جمع أكثر من ثلث المبلغ من تبرعات المسلمين في جميع أقطارهم<sup>(١)</sup> . وكان من ضمن الأسباب الهامة لإنشاء هذا الخط هو استمالة عطف المسلمين في جميع أنحاء العالم وكسب صداقتهم ، لما يترتب عنه من تيسير سبل أداء فريضة الحج . ولكن « جورج أنطونيوس » يرى أن لهذا المشروع أهدافاً سياسية وحربية قبل كل شيء ، إذ أن السلطان كان يهدف من وراء إنشائه وصول جيشه بالسرعة اللازمة إلى شبه الجزيرة العربية والعودة منها ، وكان من قبل مضطراً إلى نقلهم بالبحر بواسطة قناة السويس<sup>(٢)</sup> . إلا أنه مما لا شك أن هذا المشروع الذي أشرف عليه « عزت باشا العابد » ونفذه مهندسون ألمان كان له وقع طيب ومؤثر في نفوس المسلمين<sup>(٣)</sup> . ويؤكد « أنطونيوس » هذه الحقيقة بقوله : « ان تنفيذ المشروع كان ضربة خبير في السياسة ، فقد أثار الحماسة البالغة في جميع ديار الإسلام ، وربما كان له من الآثار في تثبيت مكانة الخلافة أكثر من جميع خطط عبد الحميد الأخرى »<sup>(٤)</sup> . ويدل على ذلك ما ذكره سفير بريطانيا في الآستانة في تقريره السنوي عام ١٩٠٧ حيث قال : « يمكننا أن نقرر بأنه من بين حوادث السنوات العشر الأخيرة على الأقل يوجد عنصران بارزان في الموقف السياسي العام ، الأول هو خطة السلطان الماهرة التي استطاع بها أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين في ثوب الخليفة - الذي هو الرئيس الروحي في الدين الإسلامي - وأن يقيم لهم البرهان على قوة شعوره الديني وغيرته الدينية ببناء سكة حديد الحجاز التي ستمهد الطريق في القريب العاجل أمام كل مسلم للقيام بفريضة الحج ، وقد ترتب على هذه السياسة أنه أصبح حائزاً على خضوع

(١) جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٤٢ ، أنظر أيضاً : فيليب حتى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

(٢) جورج أنطونيوس ، المرجع نفسه ، ص ١٤٢ .

(٣) أنظر : R. Pinon , *L'Europe et L'Empire Ottoman*, p.p. 385 - 388 .

أنظر أيضاً : زين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٥٧ .

(٤) جورج أنطونيوس ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

رعاياه له خضوعاً أعمى بشكل لم يسبق له مثيل والثاني...»<sup>(١)</sup> ويعطينا هذا التقرير فكرة عن أهمية المشروع على الصعيد الإسلامي، إلا أنه يجب أن لا يؤخذ على عواهنه وخاصة فيما يتعلق بخضوع المسلمين الأعمى للسلطان إذ أن العرب - المسلمين منهم بالدرجة الأولى - لم يخضعوا للإجراءات التعسفية التي كان يقوم بها السلطان، بل راحوا يطالبون بالإصلاح في الولايات العربية الواقعة تحت الحكم العثماني<sup>(٢)</sup>. كما أنهم بدأوا بإنشاء الجمعيات السرية والعلمية مطالبين بتطبيق العدالة والمساواة، وكثيراً ما تعرض أشخاص منهم للعقوبة لقاء مطالبتهم بالإصلاحات التي نادوا بها.

ونظراً لأن روح العصر في الشرق العربي اتسمت بالطابع الديني، فقد أثير مشروع السكة الحديدية ليس على العامة من المسلمين فحسب، وإنما على الخاصة أيضاً، لا سيما المستفيدين من النظام العثماني وعلى بعض قادتهم ومثقفهم مثال علي باشا الإبن الثاني للأمير عبد القادر الجزائري، الذي شكر السلطان على تحقيقه هذا المشروع « وهو تمهيد السبيل بين الكعبة... وتخفيف أثقال الحجة على طلابها بإنشاء هذا الخط الحجازي الحالي الذي كان يظن مناط النجم الأعلى فإذا هو قباب قوسين أو أدنى، جمع قطر الحجاز وقطر الشام بل الدنيا بأجمعها... والمسلمون في كل صقع من البلاد يجأرون بالدعاء إلى رب العباد أن يطيل عمر سلطانهم وكفيل عمرانهم...»<sup>(٣)</sup>.

وذكر « محمد عارف الحسيني »<sup>(٤)</sup> أهمية تحقيق هذا المشروع من الناحية الدينية والإقتصادية والسياسية وقال ان « السكة الحديدية الحجازية - الشامية... أسفرت عن ثروة البلاد والعباد والراحة للحجاج... وتوطيد

(١) أنظر: محمد أنيس، المرجع السابق، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٢) زين زين، المرجع السابق، ص ٥٨.

(٣) من خطاب علي باشا عبد القادر الجزائري موجه الى السلطان عبد الحميد الثاني، أنظر:

*Revue du Monde Musulman*, T. 3., pp. 524, 525. (Paris 1907).

(٤) محمد عارف الحسيني: هو ابن الشيخ احمد الحسيني الشافعي الدمشقي الرئيس الثاني لمجلس المعارف بدمشق. كتب مقالته: أعظم المآثر السلطانية العثمانية السكة الحديدية الحجازية الشامية في عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م في منزل صاحب العطوفة محمد فائق بك يكن أحد أعضاء شورى الدولة. وقد كتبها بمناسبة العيد الخامس والعشرين لجيوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش.

من مؤلفاته الأخرى:

١ - أسى الرتب في العقل والعلم والأدب، دمشق ١٨٨٣ م.

٢ - حسن الابتهاج بالأمراء والمعراج، دمشق ١٣٠٧ هـ.

الأمن والرفاهية وتعمير البلاد الخربة وتأهيل العائرة الحالية ... » وبرأيه ان هذه السكة « تقارب المسلمين بعضهم من بعض وتعارفهم واثلافهم وتواددهم واتحادهم وإتقان كلمتهم وبيان أحوالهم بالتبادل على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وبعد بلادهم ... »<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الفترة تناولت أكثر الصحف العثمانية أهمية هذا المشروع وعدادت فوائده وقالت « المنار » عام ١٩٠٨ أنه « مما لا ريب فيه أن السكة الحديدية الحجازية إذا أمكن إيصالها إلى القطر الياني كانت من خير المشروعات النافعة لبلاد العرب عامة وللدولة خاصة ... وبذلك تكون الدولة قد وصلت بين أقصى بلادها في الجنوب وأقصاها في الشمال والغرب ، إذ تصل بين خط الآستانة والحجاز بخط برجيك المنوي مده من حلب . وفي هذا العمل الجليل من الفوائد الإقتصادية والسياسية ما لا ينكر قدره ومنفعته ، ولا سيما بعد أن صار البحر الأحمر مزدهماً لعدة دول أجنبية وكان من قبل بحيرة عثمانية »<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من استعراض سياسة السلطان عبد الحميد الإسلامية والعربية بعض الملاحظات الهامة التي نلخصها فيما يلي :

١ - كان رفض عبد الحميد للمشروع الصهيوني نتيجة لردود الفعل العربية ضد الهجرة اليهودية ، ونتيجة لقناعته أن إنشاء دولة يهودية في المنطقة ستخدم الدول الأجنبية التي سعت إلى حماية اليهود في فلسطين ، وتدخلت لصالحهم في أوساط الآستانة .

٢ - ان إتباع السلطان سياسته الإسلامية والعربية ليس لاقتناعه بها فحسب ، وإنما كان من أجل تحقيق تطلعاته السياسية ، لأنه من خلالها يستطيع إستعمال « ورقة رابحة » في مواجهة الدول الأوروبية .

٣ - لم يكن تنفيذ مشروع خط سكة حديد الحجاز - الشام لأسباب دينية فحسب ، بقدر ما هي لأسباب سياسية وعسكرية ، يأتي في

(١) مخطوط : أعظم المآثر السلطانية العثمانية السكة الحديدية الحجازية الشامية ، إنشاء محمد عارف الحسيني ١٣١٨ هـ . ص ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ . دار الكتب الوطنية الظاهرية - دمشق ، مصنفه تحت الرقم ١٨١٠ .

(٢) المنار ، ٢٣ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٠٨ ، ١١ م ، ج ١٠ ، ص ٧٦٧ .

مقدمتها تسهيل عمليات نقل « الفياق التركية » إلى المناطق العربية في حال نشوب حروب أو ثورات معادية للدولة العثمانية .

٤ - ان الإشراف الألماني على تنفيذ هذا المشروع ، والمساهمة في إنجازه له ما يبرره من الناحية الإقتصادية والسياسية ، فقد حرصت ألمانيا - ولفترة طويلة - على ممارسة نشاطها لإيجاد موطنٍ قدم لها في المنطقة العربية كي تنافس إنجلترا في هذا الميدان . وبالرغم من أن السلطان عبد الحميد كان على علم بأهداف الألمان إلا أنه كان يفضلهم على الأنجليز .

### ٢ - السياسة الدولية للسلطان عبد الحميد الثاني

اصطدمت الهجرة اليهودية إلى فلسطين في عهد السلطان عبد الحميد ، بعدد من القوانين التي وقفت حائلاً دون تزايدها ودون إنشاء المستوطنات اليهودية ، بالرغم من أن كثيراً من المجموعات اليهودية كانت تدخل إلى فلسطين بأساليب غير مشروعة ، إما عن طريق رشوة السلطات المحلية العثمانية ، وإما هرباً عن طريق الحدود المتاخمة لفلسطين مثل ولايتي بيروت - الجنوبية وسوريا التابعتين للدولة العثمانية في تلك الفترة . وبعد انطلاق الحركة الصهيونية عام ١٨٩٧ ، حرصت على إقناع السلطان العثماني بالاستيطان اليهودي في فلسطين ، ليكون ذلك تحت رعايته ، حتى تنهي المنظمة الصهيونية ذلك الشكل غير القانوني في عمليات الهجرة والإستيطان ولما أثبتت الأحداث فشل الإتصالات الصهيونية مع السلطان ، رأى زعماء الصهيونية ضرورة التعاون مع الدول الأوروبية الكبرى للحصول على فلسطين بتأييد منها وبمساعدها باعتبار أن « الدولة اليهودية » المزمع إنشاؤها هي بمثابة قاعدة للمصالح الأوروبية في الأمبراطورية العثمانية .

وفي الفترة التي أظهرت الصهيونية عداوتها للموقف العثماني ، ظهرت نقمة يهود الدولة العثمانية على السلطان عبد الحميد ، فاستغلوا كل خلل في الدولة للاستفادة منه . ورأت الصهيونية العالمية مع بعض الدول الأوروبية وبالاتفاق مع يهود « الدونغة » حتمية إنهاء حكم السلطان عبد الحميد ، لأن أطماع الصهيونية في فلسطين لا يمكن تحقيقها طالما بقي في الحكم ، في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوروبية ترى أيضاً حتمية تقسيم الأمبراطورية

العثمانية للسيطرة على أملاكها ، وإقامة دويلات لليهود والأرمن واليونان وبعض الأقليات الأخرى تكون بطبيعة تكوينها خاضعة للنفوذ الأوروبي. لذا حرصت هذه الدول على تنفيذ الروح القومية والانفصالية لعناصر الدولة العثمانية ، وإن تكن هذه الروح القومية - لدى البعض - قد نشأت بدافع ذاتي ونتيجة لظروف سياسية معينة .

والواقع أن السلطان عبد الحميد الثاني أكد في مذكراته هذا الواقع وقال : « إن دول أوروبا الكبرى أرادت تقسيم العالم فيما بينها ومن ضمن ذلك الدولة العثمانية ، وإن الدول الأوروبية كانت تتذرع بإعطاء الحقوق للمسيحيين في الدولة العثمانية ، ولكن فهمنا أن هذا مجرد كلام المقصود منه تقسيم الدولة » . وأضاف أن دول أوروبا اتبعت أساليب « فرق تسد » بين مختلف طوائف الدولة ومن ذلك اسلوبان : « الأول ، تأييد المسيحيين ضد المسلمين ومساعدتهم في شن الثورات والحروب ضد المسلمين . والثاني ، العمل على إيجاد ضديات وفتن بين المسلمين أنفسهم ، وهذا مما يسهل أهداف الدول الأوروبية بعد إضعافنا » (١) .

وكانت إنجلترا وأمريكا أيضاً تساعدان على إثارة هذه الفتن ، ويتجلى ذلك في أحداث الفتن الأرمنية عام ١٨٩٠ وما يليها ، حين كانت إنجلترا ترسل إليهم الذخائر والأسلحة وتحضهم على الاسترسال في التمرد والعصيان . وقد أكدت الصحف العربية « الأهرام » و « المنار » . والصحف الأجنبية « نيويورك هيرالد » هذا التدخل ، كما أكد القسيس « سايروس هملن » في جريدة « نصير الاستقلال الكنسي » بتاريخ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٣ صحة ذلك ، وذكر أن المرسلين الأمريكيين كانوا يشاركون في إثارة الفتن الأرمنية لإضعاف الدولة العثمانية حتى يتيسر للولايات المتحدة الأمريكية أن تعاقب الحكومة العثمانية عقاباً عاجلاً (٢) .

(١) Sultan Abdul Hamit'in : *Hatira Defteri* ; نشر مجلة « ترجمان » التركية .

(٢) للزيد من التفصيلات أنظر : الأهرام ، ٢٠ آب (اغسطس) ١٨٩٠ ، العدد ٨٣ ، المنار ، ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٠ ، ج ٣ ، ص ٧ ، ج ٧ ، ص ١٦٧ ، المنار ، ٩ حزيران (يونيه) ١٩٠٠ ، ج ٣ ، ص ١٠ ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ ، المنار ، ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٨ ، ج ١١ ، ص ١٠ ، ج ١٠ ، ص ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، أنظر أيضاً : مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، ص ٣٠٥ .

ونتيجة لتعامل الأقليات مع الدول الأوروبية ، حرص جماعة من العثمانيين على توجيه نداء إلى الأرمن وغيرهم مؤداه أنه لا يجوز قيام الأرمن أو طائفة أخرى بمساعدة الأجنبي وترغيبه فهذا يعتبر خيانة وجناية وضرراً بمنافع الوطن المشتركة . وكان هذا النداء قد وُجِه بعد اقتناع الأتراك بأن الإنجليز يقولون بضرورة إنشاء مملكة أرمنية تكون بلا شك تحت رعايتهم وفي ظل حمايتهم<sup>(١)</sup> . ولكن إنجلترا فشلت في تحقيق ذلك واتجهت فيما بعد اتجاهاً جديداً للتعاون مع الحركة الصهيونية لإنشاء « الدولة اليهودية » في فلسطين . وقد بلغ التدخل الدولي في شؤون الدولة العثمانية أن أصرت الدول الأوروبية في اتفاقية برلين التي عقدت بينها وبين الحكومة العثمانية على إقرار بند خاص باليهود والنصارى الموجودين في أراضي الدولة العثمانية ينص على أنه « لا يمنع النصارى واليهود من إجراء رسوم أديانهم واتساع بطارتهم وكواهنهم فيما يتعلق بمذاهبهم »<sup>(٢)</sup> .

وكانت إنجلترا قد أعلنت حمايتها لليهود في فلسطين منذ عام ١٨٣٨ باعتبارهم رعايا بريطانيين . وكانت قد أوفدت إلى أراضي الدولة العثمانية بعثات أوروبية – إنجليزية وألمانية – ادعت البحث عن الآثار التاريخية ، بينما كان هدفها التنقيب عن البترول ، وقد علم السلطان أهداف هذه البعثات الإنجليزية والألمانية . وقد علق على ذلك بقوله : « بأنني كنت سأوافق على التنقيب عن البترول بشرط مصارحتي بذلك ، ولكن أن يأتوني كجواسيس فهذا ما لم أرضه أبداً »<sup>(٣)</sup> . ونظراً لهذه الحادثة ، فقد أرسل السلطان الشهباني بعثة إلى أمريكا يرأسها « صلاح الدين أفندي » للتخصص في ميدان البترول « ولكن البعثة التي بقيت سنة ، عادت بدون نتيجة ، لأن أمريكا رفضت هدف البعثة لأنها كانت أقوى دولة بترولية ، وهي لا تريد أن يكون البترول في دولة أخرى » . وأضاف السلطان قوله : « إنني طلبت المساعدة من اليابان ، ولما جاءت البعثة من هناك ، كنت مع الأسف خارج الحكم »<sup>(٤)</sup> .

(١) مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، ص ٣١٥ .

(٢) مخطوط : سلاطين آل عثمان ، ج ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٥ . مصنفه تحت الرقم ١٠٧٠٤ ، المكتبة الظاهرية - دمشق .

(٣) Sultan Abdül Hamit, in; *Hatıra Defteri* .

(٤) Sultan Abdül Hamit, in; *Ibid* .

ويذكر السلطان في مذكراته هذه حوادث طريفة للغاية عن البعثات الإنجليزية والألمانية =

والواقع أن الدول الأوروبية كان يهتما جداً معرفة الأوضاع الداخلية للدولة العثمانية سواء الأوضاع الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية ، لأن تلك الدول عقدت العزم على تقسيم تركيا « الرجل المريض » في الوقت المناسب . ومن أجل ذلك أخذت القنصليات والسفارات الأوروبية تهتم بإرسال التقارير إلى حكوماتها مفصلة أوضاع الدولة العثمانية . وكان القنصل أكثر ما يهتمون بالنواحي العسكرية وفي مقدمتهم « ديكسون » (Dickson) – القنصل البريطاني في القدس – الذي أرسل تقارير عديدة خلال سنوات توليه الوظيفة . ففي عام ١٩٠٥ أرسل تقريراً عن التحركات العسكرية التركية إلى ميناء الحديدة<sup>(١)</sup> . وأرسل « فالانكا » (Falanga) – نائب القنصل البريطاني في يافا – تقريراً مماثلاً يذكر فيه استدعاء ١٦٠٠ رجل من نابلس إلى يافا لإرسالهم إلى اليمن عن طريق البحر عبر القنال<sup>(٢)</sup> ، وبمجموعة أخرى لإرسالها إلى بيروت<sup>(٣)</sup> . وبذلك تكون بريطانيا بالذات قد حرصت حرصاً شديداً على جمع المعلومات عن التحركات العسكرية التركية في المنطقة العربية حتى يتيسر لها رصد هذه التحركات للإفادة منها في الوقت المناسب ، وهذا ما تحقق فعلاً قبل الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ .

وامتداداً لهذه الأساليب التي أتبعتها بريطانيا وكافة الدول الأوروبية ، فقد حرصت على التعاون مع الأقليات في الدولة العثمانية لاسيما اليهود من

= فيروي ان علماء البعثة الانجليزية قالوا له : بأن الغاية من البعثة علمية تاريخية وستغير كثيراً من المعلومات التاريخية ، ثم توجهت البعثة الى الموصل وبغداد بمحبة التنقيب عن الآثار ، وبعد فترة أرسلوا الى السلطان بعض التماثيل والجرار والنقود القديمة ، كما أرسلوا سيفاً قديماً لايامه أنهم بالفعل ينقبون عن الآثار ، ولكن تبين فيما بعد بأن السيف وبقية الآثار هي حديثة الصنع ولكنها موهت بشكل يظهرها انها قديمة ، مما دعا السلطان الى طردهم من الأراضي العثمانية . ويروي حوادث مماثلة حدثت مع الألمان .

(١) Dickson to O'Conor, 5 June 1905, No. 18, in F.O. 195/2199.

(٢) Falanga to Dickson, 22 April 1905, No. 28, in F.O. 195/2199.

(٣) Dickson to O'Conor, 22 April 1905, No. 11, in F.O. 195/2199.

أنظر أيضاً : Dickson to O'Conor, 22 June 1905, No. 34, in F.O. 195/2199 .  
للمزيد من المعلومات حول التحركات العسكرية التركية بعد ثورة ١٩٠٨ أنظر التقارير التالية :

Blesh to Lowther, 4 Feb. 1909, No. 8, in F.O. 195/2321.

Blesh to Lowther, 11 Feb. 1909, No. 9, in F.O. 195/2321.

Blesh to Lowther, 20 Feb. 1909, No. 11, in F.O. 195/2321.

Blesh to Lowther, 21 April 1909, No. 32, in F.O. 195/2321.

ذوي النفوذ ، بالإضافة إلى العملاء المحليين والأجانب على السواء ، ويتحدث « مصطفى كامل » عن هذه الحقيقة فيقول : « ولقد دخل في جسم الدولة كثير من الأجانب نساءً ورجالاً ، وغيروا أسماءهم بأسماء إسلامية وعملوا على الإرتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم إلى أسماءها ، وصاروا من أقرب الدخلاء في الزمن السالف في كل فروع الدولة العلية حتى في الجيش نفسه ، وصارت لهم سلطة عظيمة ونفوذ كبير ، وكنت تجرد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح روسيا مدعياً أنه روسي السياسة ، ومن يعمل لصالح انكلترا مدعياً أنه أنجليزي السياسة ، ولكن ليس منهم من كان عثمانياً السياسة » (١) .

ومن الأهمية بمكان القول ، أن هؤلاء الأشخاص الأجانب الذين دخلوا في جسم الدولة لعبوا دوراً بارزاً في إنهاكها وتقصير سني حياتها ، ذلك أن ولاءهم لم يكن ولاءً عثمانياً بل على حد قول « مصطفى كامل » ولاءً أجنبياً . بل لقد بلغ الأمر بالبعض إلى خيانة الدولة من الناحية العسكرية وكان منهم أتراك ومن أصل تركي ، ويذكر أنه عندما نشبت الحرب الروسية - التركية عام ١٢٩٥ هجرية - ١٨٧٧ م ووصل الروس إلى بعض قرى القسطنطينية واستولوا على أدرنة شرع الناس « يذاكرون فيما بينهم بوقائع الحرب وينسبون للوزراء ورجال الدولة تارة إلى الخيانة والأمرء وقواد الجيش [تارة] أخرى إلى التقصير ، ويتكلمون في حق السر عسكر والوزير والبطانة وقد أغرامهم بذلك من كان في دار الخلافة من شيعة مدحت باشا يرجون أن يتوسلوا بذلك لإيقاظ فتنة » (٢) . لاسيما وأن الأتراك قد أتهموا مدحت باشا وجماعته باغتيال السلطان عبدالعزيز بعد خلعه عام ١٨٧٦ فقال البعض أن وفاة السلطان عبدالعزيز هي مؤامرة حيكت بإرادة مدحت باشا وحسين عوني باشا وغيرهما من الذين اتفقوا على قتله منعاً للانتقام منهم ما دام على قيد الحياة ، وقد تم ذلك بالاتفاق مع الأنجليز (٣) . كما يؤكد السلطان « عبد الحميد الثاني » هذه الحقائق فيقول : « إن حسين عوني باشا تعامل مع الأنجليز وقبض منهم المال ، وبرأيي أن

(١) مصطفى كامل ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٢) مخطوط : سلاطين آل عثمان ، ج ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٧٣ .

(٣) اسماعيل سرهنگ : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٧٢٢ ، ٧٢٣ وما يليها .

مصر : ١٣١١ هـ - ١٨٩٦ م .

أي شخص يأخذ مالا من دولة أجنبية ، فإنه سيعمل على تحقيق أهدافها ومطامعها . لم يحدث ذلك في أيامي فحسب ، وإنما أيضاً في أيام عمي عبدالعزيز وأخي مراد . أما مدحت باشا فيقول عنه السلطان : « أنه كان يتعامل مع الإنجليز. ويؤيد سياستهم ، وكان مدحت باشا في طليعة الأشخاص الذين حرموا عمي عبدالعزيز من العرش بالإتفاق مع الإنجليز ، وكانت مساعدته للإنجليز تعتبر جريمة ، كما أن إبقائي لشخص مثله في السلطة تعتبر جريمة أيضاً . أن مدحت باشا - الصدر الأعظم - يأخذ مالا من دولة عدوة لنا ، وهذا أمر لا أستطيع أن أقبله على نفسي وأنا في الحكم ... وأخيراً نفذ صبري وأخرجته من الحكم ،<sup>(١)</sup> .

والواقع أن إجراءات السلطان لم تستطع أن تحدد من تزايد النفوذ الأوروبي في أراضي الدولة العثمانية بسبب الامتيازات الأجنبية المعروفة باسم (Capitulations) ، ومن مظاهرها حماية الدول الأوروبية لليهود فلسطين باعتبارهم من رعاياها ، وذلك بواسطة قناصلها لدى الدولة العثمانية كما ادعت روسيا حماية الأرثوذكس ، وادعت فرنسا حماية الكاثوليك ، وادعت إنجلترا حماية البروتستانت واليهود . وعن طريق الامتيازات منعت الدولة العثمانية زيادة الرسوم الجمركية أكثر من ٨٪<sup>(٢)</sup> ، وفي عام ١٩٠٧ أضافت الدولة ٣٪ فأصبحت القيمة الإجمالية للرسوم الجمركية ١١٪. غير أن الدول الأوروبية اشترطت ان تخصص هذه الزيادة لتمويل ما كانت تطالب به من إصلاحات في الولايات الثلاث المعروفة باسم مقدونيا وهي : سلانيك ومناستر وقوصوه<sup>(٣)</sup> باعتبارها مناطق خاضعة للنفوذ الأوروبي ، وكانت تتمركز في إحداها - وهي سلانيك - جماعات يهودية تمثل الغالبية العظمى من السكان .

وفي عام ١٩٠٥ ، أرادت الدول الأوروبية إخضاع مالية الدولة العثمانية إلى مراقبة دولية ولا سيما في الولايات المقدونية الثلاث ، ولكن السلطان

(١) Sultan Abdül Hamit, in: *Hatira Defteri*.

(٢) أنظر : سليمان مرمي : الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، ص ٢١ ، ولیم فهمي : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، ص ٢٠ . أنظر أيضاً عن الامتيازات الأجنبية :

R. Pinon : *L'Europe et L'Empire Ottoman*, pp. 546 - 547.

زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٤٤ .

عبد الحميد امتنع عن الموافقة على هذا الطلب وتمسك بموقفه تمسكاً شديداً<sup>(١)</sup>، فعمدت تلك الدول إلى اتباع أسلوب الضغط العسكري، فقامت بمظاهرات عسكرية في أزمير والدردنيل واحتلال مناطق متاخمة لها مثل جزيرة «مدالي»، مما اضطر السلطان الموافقة على تعيين بعثة أوروبية تضم ممثلين عن الدول الدائنة. وكانت الدولة العثمانية تعمل جاهدة للتخلص من نفوذ ورقابة هذه البعثة، ولم يكن أمام الحكومة التركية سوى حل واحد هو سداد هذه الديون إما بديون جديدة من المصارف والبيوتات المالية، وإما بتغطية مالية مؤقتة من هذه المصارف، وكانت هذه البنوك في أيدي الصهيونية التي امتنعت عن تخليص الدولة العثمانية من ديونها وذلك بالاتفاق مع الدول الأوروبية<sup>(٢)</sup>، إلا تحت ضغط تحقيق المشروع الصهيوني وهجرة يهودية غير مقيدة إلى فلسطين. وكان الممولون الأوروبيون أمثال «أورلاندو توبيني وشركاه» من كبار الرأسماليين الفرنسيين المتعاملين مع تركيا، وكان هؤلاء بدورهم يخضعون للبيوت المالية اليهودية.

وفي هذه الفترة، كانت كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا في غيظ بسبب منح السلطات العثمانية ألمانيا امتياز الخط الحديدي (B. B. B.) نظراً لما يسببه ذلك من تزايد النفوذ الألماني، وانتكاسة للنفوذ الثلاثي في الدولة العثمانية، فدأبت هذه الدول وفي مقدمتها إنجلترا على استغلال العناصر التي ترى أن من صالحها إنبهار الدولة العثمانية مثل شبان «تركيا الفتاة»، ويهود الدونمة وغيرهم من الجماعات، وإن كانت الحركة الصهيونية تحولت في فترة من فترات نشاطها السياسي من التعاون مع الإنجليز إلى التعاون مع ألمانيا لتوافق المصالح المشتركة بينهما.

والغريب أن جميع الأقليات في الدولة العثمانية، قامت بثورات أو حركات مناهضة للدولة ما عدا اليهود الذين ما برحوا ينتظرون ازدياد شوكتهم، ويخططون سراً مع بعض القوى المؤثرة للاشتراك في إطاحة السلطان عبد الحميد الثاني لاسيما بعد أن تأكد لهم إمكانية تحقيق مآربهم في أثناء حكمه.

وفي عام ١٩٠٨ بدأ النشاط الأوروبي يتضاعف عن ذي قبل، لاسيما

(١) ساطع الحصري، المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٢) عودة عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص ١٩٤.

بعد ازدياد النفوذ الألماني في الشرق الأدنى بعد انتهاء مشروع السكك الحديدية ، إذ أصبح بمقدور ألمانيا الوصول عبر سكة حديد بغداد - الحجاز إلى الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية وعدن ، وكان يعني ذلك ضرب المصالح البريطانية في المنطقة . وزاد الوضع خطورة وضع مشروع ربط هذه السكة الحديدية بمناطق فلسطين وسوريا ، ومعنى ذلك أنه أصبح من اليسير على العثمانيين التقدم جنوباً حتى فلسطين ومهاجمة مصر منها ، فخشيت بريطانيا حدوث ذلك لأنها كانت تدرك أهمية فلسطين كمركز هام للهجوم على مصر أو للدفاع عنها ، بما يترتب على ذلك من أخطار على قناة السويس الشريان الحيوي للاستعمار البريطاني .

### ٣ - الوفاق الصهيوني - الدولي - المحلي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني

إن الصيحات التي انطلقت معارضة حكم السلطان عبد الحميد الثاني ، سواء من الأتراك أو من باقي القوميات المختلفة ، لعبت دوراً فاعلاً في مساعدة الدول الأوروبية والحركة الصهيونية لاستغلال هذه المعارضة والإستفادة منها . فبدأت الصهيونية تستميل بعض الأتراك الموجودين في بعض العواصم الأوروبية وأتراك الدولة بمساعدة يهود ودونمة سلايك للتخطيط في مسألة خلع السلطان ، بالرغم من أن السلطان عبد الحميد كان يعطف على اليهود المقيمين في إمبراطوريته كما تذكر بعض المصادر المعاصرة فيذكر « حبيب فارس » - صحافي وصاحب صحيفة المحروسة - مخاطباً اليهود : « هل راق لكم الكأس زمناً كما راق في حكم السلاطين آل عثمان ، وهل حرية في الأديان أعظم من الحرية الممنوحة لجميع المذاهب من قبل مولانا وسلطاننا عبد الحميد خان ... وأنتم مع عدم ذكركم لإسم هذا السلطان العظيم وعدم الدعاء بحفظ وجوده ، فانكم كنغيركم من الأمم تتمتعون بضياء شمس عدالته ... »<sup>(١)</sup> ويذكر أنه عندما صدر القانون الأساسي أشار السلطان على ضرورة احترام الطوائف المسيحية واليهودية « وطلب أمير المؤمنين من رجالات الدولة ووزرائه [الحفاظة على] صدور العلماء وبطارقة النصراني وكواهن اليهود ... ألا يعزلوا أبداً »<sup>(٢)</sup> .

(١) حبيب فارس : مخطوط : صراخ البري في بوق الحرية ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) مخطوط : سلاطين آل عثمان ، ج ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٦٧ .

هذا ، ولعبت المحافل الماسونية مع يهود « الدوغمة » دوراً مؤثراً في التخطيط لخلع السلطان ، وكانت بمثابة العقل المدبر ، كما كانت الدول الأجنبية بمثابة الممول لأنه كان لها نفوذ كبير في أوساط الباب العالي وبين الأتراك الشبان<sup>(١)</sup> . وكانت الماسونية قد بدأت في الإنتشار في أراضي الدولة العثمانية منذ وقت بعيد . ويقول الأب « لويس شيخو » عن موقف تركيا من الماسونية : « كانت تركيا بين أول الدول التي ناهضت الماسونية منذ عام ١٧٤٨ ، وأن بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين الجمعيات السرية . فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور إلى كل ما يتستر تحت حجاب الظلمة وإذا بلغهم شيء من أمر تلك الجماع أسرعوا إلى إلغائها وتشتيت شمل أصحابها<sup>(٢)</sup> » ، لا سيما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أثرت حوادث عام ١٨٧٦ بسيرته وسياسته منذ أن وجد أخاه السلطان عبد العزيز مقتولاً في قصر « طولمه باغچه » . ولما عين مراد سلطاناً من بعده اعتزل ولم يبق طويلاً في الحكم ، وعين مكانه أخوه عبد الحميد الثاني الذي بدأ أعماله القانونية في ظل هذه الظروف وهذا الوضع<sup>(٣)</sup> . ولذا وجدناه يخشى من سرية الأحزاب والجمعيات لا سيما الماسونية منها حين صمم على إخضاعها للمراقبة ، لكن حماية الدول الأوروبية لها - لا سيما إنجلترا - كان يخفف من قيود المراقبة<sup>(٤)</sup> . وكان السلطان عبد الحميد يشك دائماً بالمحافل الماسونية ونشاطاتها ، وأن كراهيته لها يعود إلى يوم كان شقيقه مراد قدس قبل كرئيس للماسونيين الأتراك<sup>(٥)</sup> . ويذكر السلطان « عبد الحميد الثاني » في

(١) S. Mardin; *The Genesis of Young Ottoman Thought*, pp. 116 - 117.

(٢) الأب لويس شيخو اليسوعي : السر المصون في شيعة الفرسمون ، المشرق ، آب ( اغسطس ) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ .

(٣) E. Creasy; *History of the Ottoman Turks*. p. 548.

ويضيف اسمعيل مرهناك في : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ١٩٠١ ، ص ٧٢٢ - ٧٢٨ ، بأن الظروف التي أدت إلى مقتل السلطان عبد العزيز كانت لها نتائج سيئة ، فقد قام حمن الجركسي وقتل بعض الوزراء ثاراً للسلطان المقتول ، فصدم السلطان مراد وأفقدته هذه الحوادث توازنه العقلي وكثيراً ما أغمى عليه ، فعرض الأمر على أخيه عبد الحميد لكي يستلم مقاليد الدولة فنصحهم بالتأني إلى أن استقر رأي الوزراء في المجلس المنعقد يوم الأربعاء ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ - ٣٠ آب ( اغسطس ) ١٨٧٦ م على مبايعة عبد الحميد سلطاناً للدولة . ويمكن تفسير سياسة عبد الحميد الحذرة ، العامة منها والخاصة انطلاقاً من ظروف المؤامرات التي أحاطت بعمه وأخوته من قبله .

(٤) د. محمد علي الزعيبي : حقيقة الماسونية ، ص ١٧٤ .

(٥) J. Haslip; *The Sultan-The life of Abdul-Hamid II*, p. 256.

مذكراته : « من أن العمل الوحيد الذي استطاع الماسونيون القيام به في الدولة العثمانية ؛ هو نشر الشقاق والتمرد في البلد وبين صفوف الجيش ، دون أن يعلموا أنهم يعملون لحساب أنجليترا التي تدعي نشر الأفكار المتحررة في إمبراطوريتنا . وأشد ما يؤلني أن يتعاون هؤلاء الضالون الأتراك مع اليونانيين والبلغاريين في سبيل إزاحة « المستبد » (Müstebit) ! عن الحكم (١) .

ونظراً للجهود المبذولة من قبل الماسونية (٢) ، تأسست محافل ماسونية عديدة في الآستانة وإزمير بعضها تابع للشرق الأعظم الإنجليزي وبعضها للفرنسي أو للايطالي إلى أن أنشأ الأخ \* \* (٣) الكلي الإحترام « حليم باشا » مجعاً وطنياً ترأسه وتعددت محافله (٤) ، بحيث أصبح عدد الماسون الأتراك المسلمين عام ١٨٨٢ نحو عشرة آلاف شخص من بينهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار المسؤولين (٥) . إلا أن السلطان عبد الحميد استطاع في عام ١٨٩٤ إغلاق جميع المحافل الماسونية ما عدا محافل سلايك لارتباطاتها الدولية مع دول ومحافل أوروبا مثل : إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والنمسا . ونظراً لخطورة الأوضاع والتحركات العلنية والسرية في سلايك ، ونظراً لسيطرة الماسونيين على مجلس إدارتها ، مما يسبب خطراً على الحكم العثماني ، أصدر السلطان أوامره عام ١٨٩٥ « وقررت لجنة التفتيش في ولايات الرومي لزوم تعيين أعضاء لمجلس إدارة ولاية سالونيك زيادة عن الموجودين وأحيلت الكيفية إلى المرجع الايجابي » (٦) .

(١) Sultan Abdül Hamit; Siyasi Hatiratim, p. 81.

(٢) الماسونية قسماً : ماسونية اليهود ، وماسونية الغويم - وهم غير اليهود - إلا أن رئاسة

محافلها ومختلف أهدافها خاضعة للنفوذ اليهودي .

(٣) هذه إحدى الشارات الماسونية المتعارف عليها .

(٤) لويس شيخو ، المصدر السابق ، ص ٦٠٧ .

(٥) د. محمد علي الزعبي ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٦) جريدة لبنان ، ١٧ شباط ( فبراير ) ١٨٩٦ ، العدد ١٢٥ . هذا ويذكر اسمعيل مرهناك

في كتابه السابق الذكر ص ٤٦٦ ، مؤرخاً لتاريخ سالانك قوله : « سلايك أو تسالونيك

وهي مقر ولاية بأسمها وتبعد عن القسطنطينية بنحو ٥٢٠ كلم . وهي من الثغور التجارية

المهمة . موقعها في داخل الجون المعروف بأسمها ... تجارتها واسعة جداً يخرج منها طريق

حديدي إلى اسكوب ويتصل بالآستانة .. ومرفؤها أمين رحب يسع أكثر من ٣٠٠ سفينة

جسيمة .. فتحها العثمانيون في عهد النازي السلطان مراد الثاني ( ١٨٥٣ - ١٤٣١ م ) ..

وسكانها يبلغون ٨٠٠٠٠ نسمة وهي أهم ثغر تجاري بتركية أوروبا بعد القسطنطينية .

ومن سكانها كثير من نسل الذين طردهم الأسبانول في زمن فرديناند وإزابيلا . وهذه المدينة =

واللافت للنظر في هذا المجال ما أكدته المصادر والوثائق المختلفة من ارتباط وطيد بين الصهيونية والماسونية ، فقد أكدت الوثائق الصهيونية في مؤتمر بال الأول ١٨٩٧ هذه العلاقة بالقول : « ... وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة ، سنحاول أن ننشئ ونضع خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم . وسنجدب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد ، كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية » (١) .

ويذكر أيضاً بأن الحركة الصهيونية عمدت إلى إبتداع الحركة الماسونية الحديثة منذ فترة مبكرة ، من أجل أن يتخلى الإنسان عن كل ما يؤمن به ليصبح كما يسمونه « كوزمو بوليتيني » (Cosmo - Politini) ، ومن أجل أن تكون محافلها وسيلة للصهيونية في تحقيق أهدافها والتغلغل في الأوساط الحاكمة وكسب الطبقة العليا من الحكام والوزراء وأصحاب النفوذ في أي مجتمع ، لاستغلالهم في خدمة الأهداف الصهيونية ، ولذلك فالتنازلي أن نشاط هذه الحركة يكاد ينحصر في الأوساط الحاكمة وليس في الأوساط الجماهيرية (٢) .

وهناك أدلة كثيرة تؤكد الإرتباط الوثيق بين الصهيونية والماسونية ، وتؤكد أن الماسونية هي من إفرازات الحركة الصهيونية ، وهذا ما تثبته دائرة المعارف الأمريكية عام ١٩٠٦ ودائرة المعارف اليهودية ، وبعض الصحف اليهودية الصادرة في فترات وسنوات متفاوتة والتي تؤكد هذا الإرتباط الوثيق . فقد ذكرت المجلة اليهودية « لافيريه إسرائيلية » عام ١٨٦١ من أن روح الماسونية الأوروبية هي روح اليهودية (٣) . وذكر الحاخام

= فابريقات للأقمشة الحريرية والطنافس و... ومن تجارها الحرير والقطن والتبغ و... ويتردد عليها كثير من سفن الشركة العثمانية والشركات الأجنبية .

ومن خلال هذا التأريخ ندرك مدى أهمية سالانيك وغي أهلها الذين استطاعوا تمويل الحركات المعادية للسلطان ولا سيما في أحداث عامي ١٩٠٨ - ١٩٠٩ . ويمكن أن نضيف بأن عدد سكان سالانيك في عام ١٩٠٩ كان يربو على ( ١٤٠ ) ألفاً منهم ( ٨٠ ) ألفاً من اليهود و ( ٢٠ ) ألفاً من اليهود « الدوغة » . وبمعنى آخر فإن اليهود كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة من أهاليها . أنظر : ( Paris 1909 ) . *Revue du Monde Musulman*, T. 9, p. 174 .

(١) محمد خليفة التونسي : الخطر اليهودي : بروقوكولات حكاء صهيون ، البروتوكول الخامس عشر ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية في الوثائق العربية ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٣) سنتحدث عن علاقة الماسونية باليهود في الوثائق العربية من الأدلة والوثائق أثناء بحث دور اليهود في ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ .

« إسحق وايز » (Isaac Wise) (١٨١٩ - ١٩٠٠) في ٣ آب (أغسطس) ١٨٦٦ في مجلة « إسرائيلي أمريكا » (The Israelite of America) أن الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وتوضيحاتها. أنها يهودية من البداية حتى النهاية<sup>(١)</sup>.

وتوضح مجلة « المشرق » الارتباط العملي بين الماسونية والصهيونية فتقول : « أنه لو أردنا بيان الرابطة الوثقى التي بين الماسونية واليهودية لطال بنا الكلام ، ونكتفي لبيان ذلك بهذه الملاحظات : ... قال أحد كتبة العصر السابق المسيو دى لا بينوا (H. de L'Epinois) في مجلة « المباحث التاريخية » في نيسان ١٨٨٢ : « ليست بعلاقة أوثق من علاقة الماسونية واليهودية ، فإن ذوي النظر لدى مشاهدتها لا يتألمون عن هذا الحكم ، أو أن الماسونية تحولت إلى اليهودية أو بالحرى أن اليهود « تيسنوا » لإدراك غاياتهم الخبيثة »<sup>(٢)</sup>. وكان اشتراك اليهود الأتراك في المحافل الماسونية تمثل مظاهر متناقضة فهم يهود في أعماقهم ، مسلمون في ظاهريهم ، ماسون في المحافل .

ويؤكد « يوسف الحاج » - الحائز على رتبة الأستاذية العظمى في الماسونية - المبادئ الماسونية ومعتقداتها فيقول : « بأن مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغايتها ترمي كلها إلى تقديس ما ورد في التوراة واحترام الدين اليهودي والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين باسم الوطن القومي اليهودي »<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا النحو استطاعت الحركة الصهيونية مع المحافل الماسونية متابعة النشاط السياسي لتحقيق المشروع الصهيوني باستيطان فلسطين. وكان يهود الدونمة يشكلون اللبنة الأولى لتنفيذ المخططات الصهيونية - الدولية - الماسونية .

ويذكر جواد زفعت اتلخان - القائد التركي المعاصر للسلطان عبد الحميد - انه في القرار المرقم ٧٠ للجمعية الماسونية الفرنسية جاء فيه انه أسست

(١) أنظر : عودة بطرس عودة ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .  
(٢) لويس شيخو : السر المصون في شعبة الفرماسون ، المشرق ، آب (أغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ . وقد بحث في علاقة اليهود بالماسونية بشيء من التفصيل الكاتب الفرنسي (Édouard Drumont) في عدة كتب ومنها كتاب (La France Juive) وصدر كتاب آخر لجمعية « اغسطين » عرف باسم (Judaïsme et Franc-Maçonnerie)  
(٣) يوسف الحاج : هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود ، ج ١ ، ص ٣٥ .

جمعية سرية باسم « جون ترك » (Jeune Turque) فباشرت نشاطها من سلانينك التي تضم اليهود الأكثر نفوذاً في أوروبا. عدا ذلك كان يوجد هناك المحافل الماسونية الكثيرة لقبول الثائرين فيها نظراً لكون تلك المحافل تحت حماية السياسة الأوروبية... ويمكن القول ان فرقة الاتحاد والترقي ولدت فعلاً في المحفل الماسوني المسمى « ماكدونيا ريزتورا » (Macedonia Ristora) المؤسس من قبل « قارصوه اليهودي السلانيني »<sup>(١)</sup>. ويعود « لويس شيخو » ليؤكد انه بعد انشاء جمعية الاتحاد والترقي تحت سيطرة الماسونية ، كان للضباط وجندهم القوة العاملة ، أما التدبير لتنفيذ العمل واخراجه إلى حيز الوجود فكان في أيدي الموسويين الذين تعهدوا بدفع المبالغ اللازمة لذلك المشروع...<sup>(٢)</sup> وقد ازداد عدد المشتركين في هذه المحافل نظراً لاتصال الضباط الشبان في الجيش الثالث — الذين أرسلوا للقضاء على الثوار في الجبال — بالمحافل الماسونية المنتشرة في سلانينك<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ١٨٨٩ شكل جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية الأمبراطورية في استانبول منظمة سرية هدفها الواضح عزل « عبد الحميد الثاني » ، وكان وراء هذا التشكيل السري رجل ماسوني من ألبانيا اسمه « ابراهيم تيمو » او آدم كما كان يسمى أحياناً<sup>(٤)</sup>. وقد اتفق مع عدد من الطلاب على الاشتراك في تلك المنظمة وكان في مقدمتهم : اسحق سكوتي ، وشركس محمد رشيد ، وعبد الله جودت ، وكرديان ، وقد باشرت أعمالها منذ عام ١٨٩١ في جنيف أولاً ثم نقلوها إلى باريس ، وكانوا يعملون على نشر دعوتهم سرّاً ، واتخذوا لذلك طريق الجيش لبث أفكارهم<sup>(٥)</sup>. وقد أصدر كل من اسحق سكوتي وعبد الله جودت مجلة « عثمانلي » في جنيف لمحاربة السلطان عبد الحميد وتأليب الرأي العام عليه ، وذلك لكسب مؤيدين لتنظيمهم وقد عرف هذا التنظيم باسم « الاتحاد والترقي » (Committee)

(١) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام — الصهيونية وبروتوكولاتها ، ص ١٥٠ .

(٢) لويس شيخو ، المصدر السابق ، ص ٦١٨ .

(٣) J. Haslip ; *The Sultan - The life of Abdul-Hamid, II*, p. 256.

(٤) انظر : أرنتست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ٤٩ .

(٥) W. Miller ; *The Ottoman Empire and its Successors*, p. 474.

انظر ايضاً : محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٠ .

( of Union and Progress ) وهو فرع لحزب « تركيا الفتاة » . ونظراً للمخططات المعارضة لحكم السلطان دأب أعضاء الجمعية على عقد اجتماعاتهم السرية في المحافل الماسونية ، وعقدوا اجتماعاتهم الأولى في المحفل الماسوني الايطالي ، وفتحت السفارات الاجنبية أبوابها لكل مخطط عصيان على السلطان ، وكانت إنجلترا وفرنسا سابقتين إلى ابواب اللاجئين من معارضي الحكم الحميدي ، وتركتهم يعملون في عواصمها علناً لإسقاط السلطان<sup>(١)</sup> . وكانت ايطاليا تشجع هذه الميول لاسيما بعد رحلة « ابراهيم تيمو » إلى برنديزي ونابولي واتصاله بالمحافل الماسونية والدوائر الحكومية هناك بهدف التنسيق مع الاتحاديين ، وبالفعل فقد بدأت عناصر هذه الجمعية في تركيا بالاتصال بعناصرها في الخارج ولا سيما في العاصمة الفرنسية باريس ، وقد كانت علاقتهم متينة مع اترك المنفى المقيمين في فرنسا<sup>(٢)</sup> . ومن هؤلاء : سلانكي ناظم وأمين أرسلان و خليل غانم<sup>(٣)</sup> ، وكان هذا الأخير يكتب في عدة صحف أوروبية ذات نفوذ اتحادي وأجنبي وتمويل يهودي ضد السلطان عبد الحميد . ففي عام ١٨٩٥ كتب مقالة بالإشتراك مع أمين

(١) سعيد الأفغاني : كانت الصهيونية هي خالمة السلطان ومقوضة الملكة العثمانية ، نقل عن : مجلة العربي كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٧٢ ، العدد ١٦٩ ، ص ١٥٢ .

(٢) Lord Eversley ; *The Turkish Empire*, p. 370.

(٣) خليل غانم ( ١٨٤٦ - ١٩٠٣ ) ، مسيحي من لبنان ، انتخب نائبا عن سوريا في مجلس المبعوثان عام ١٨٧٨ ، حمل حملة شديدة في مجلس المبعوثان ، مع احمد افندي - مبعوث أزمير - على الحكومة لتفيتها مدحت باشا ، فصدر الحكم بالقاء القبض عليه ، فالتجأ إلى السفارة الفرنسية ، وبعد ان عطل السلطان عبد الحميد هذا المجلس هرب غانم الى أوروبا حيث اصدر جريدة « الهلال » في جنيف ، وعندما ذهب إلى باريس أسس صحيفة عربية هي « البصير » التي صرغان ما توقفت ، ثم أسس صحيفة « تركيا الفتاة » عام ١٨٩٥ ، وكانت تصدر بالعربية والفرنسية ، ولكن لم يذكر اسمه على الجريدة كمحرر أو مدير لها لكني لاحظت حين اطلاعي على الأعداد الأولى لهذه الصحيفة العبارات التالية : محرر الجريدة : حب الوطن ، مدير الجريدة : النظام والنجاح . ولاحظت أيضاً إلى أن تاريخ إصدار الأعداد الأولى طبع خطأ على هذا النحو : باريز ٥٩٨١ ، عوضاً عن عام ١٨٩٥ تاريخ إصدار الصحيفة . وكان خليل غانم قد كتب في الصحيفة الفرنسية ( *Journal des Débats* ) إلى أن اصبحت موالية للسلطان فيما بعد . وكتب أيضاً في صحيفة « كشف النقاب » لصاحبها أمين أرسلان علاوة على توليه ادارة جريدة ( *La France Internationale* ) كما كتب في جريدة ( *L'Eclair* ) وبعد لجوء احمد رضا إلى باريس اتفقا معاً على التحرير في جريدة « مشورت » التي أصدرها بالتركية مع ملحق بالفرنسية . هذا وألف خليل غانم في باريس عام ١٩٠٢ كتاباً أسماه ( *Les Sultans Ottomans* ) . ومن مؤلفاته الأخرى : الاقتصاد السياسي ، الاسكندرية ١٨٧٩ .

أرسلان في صحيفة « تركيا الفتاة » في سنتها الأولى وعددها الأول عدد فيه أهداف الجمعية وغاياتها في الحصول على « حرية شخصية وحرية معتدلة للطبوعات ومراقبة حقيقية على الحكام من نواب الأمة . وبالنتيجة إعادة مجلس المبعوثان ... وإثنا سنفرغ الجهد ونبذل الوسع لإقناع جلالة السلطان بصوابية مطالبينا وحسن نياتنا مع نقل آمال الشعوب العثمانية إلى الدول الأوروبية ... » وعدد مطالب الجمعية بإصلاح الأحوال الداخلية والخارجية وتعميم الخدمة العسكرية « واستئصال الأغراض والمنافع الشخصية وتعديل الضرائب ومساواتها ... »<sup>(١)</sup>

وفي العام التالي كتب « خليل غانم » في نفس الصحيفة موضوعاً حاول فيه استمالة المسلمين قبل أية طائفة أخرى لاعتقاده أنهم يشكلون القوة القادرة على إيجاد الأخطار لعرش السلطان ، فبدأ مقاله بآيات قرآنية ونداء إلى « المسلمين المظلومين » لأن « الإضطراب المستولي الآن على شؤون الممالك العثمانية وسوء الحال الذي صار إليه العثمانيون بالعموم والمسلمون بالخصوص يستوجبان دقة النظر وإعمال الفكرة المتجردة »<sup>(٢)</sup> .

والواقع فقد اعتمد الاتحاديون على تنظيماتهم في أوروبا لنشر أفكارهم لصعوبة تحقيق ذلك من الداخل لأن طبع المنشورات السرية في داخل البلاد كان مستحيلاً بسبب صرامة المراقبة الموضوعية على مختلف المطابع كبيرة كانت أم صغيرة . لذا كانت تطبع الصحف والمنشورات في الخارج ، وكان إدخالها صعباً إلى الأراضي العثمانية ، إلا أن وجود الدوائر الأجنبية والسفارات الأوروبية وقنصلياتها كان يسهل كثيراً من دخول هذه المنشورات لأن هذه السفارات كانت كلها مصنونة من مراقبة الدولة العثمانية بسبب الإمتيازات الأجنبية<sup>(٣)</sup> . وعن طريق هذه الدوائر الأجنبية كان الإتحاديون يتسلمون هذه المنشورات حيث توزع بمعرفة التشكيلات السرية لجمعية الإتحاد والترقي . ويكفي للدلالة على نفوذ الإمتيازات الأجنبية بالنسبة للبريد ان فاق بريد القنصلية النمساوية في القدس - التي كان يديرها رجل يهودي - غيرها رواجاً وشهرة<sup>(٤)</sup> ، بما فيه البريد العثماني .

(١) تركيا الفتاة ، ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٥ ، العدد ١ ، ص ١ .

(٢) تركيا الفتاة ، ٢٤ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٦ ، العدد ٤ ، ص ١ .

(٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٠٤ .

(٤) يوسف الحكيم : سورية والمعهد العثماني - ذكريات الحكيم (١) ، ص ٢٠٠ .

وفي عام ١٨٩٦ عقد في فيينا مؤتمر دعت إليه جمعية الإتحاد والترقي اشترك فيه : الأرمن واليونان والمقدونيون والعرب واليهود وبقية الأقليات ، وقرروا فيه خلع السلطان وقلب نظام الحكم ، غير أن السلطان عبد الحميد استطاع استئصال الجمعيات المطالبة بالدستور خاصة بعد انتصاره في حرب اليونان عام ١٨٩٧ واستعادته هيبة الدولة<sup>(١)</sup> . ولذا نشط الإتحاديون بمساعدة بعض الدول الأوروبية لمواصلة نشاطهم في الخارج ، خاصة بعد انتشار فروع الجمعية في بعض مناطق الدولة العثمانية ، ولا سيما في مناطق النفوذ البريطاني . فقد كانت مصر من المراكز الحساسة للجمعية ، ذلك أن بعدها عن الآستانة وكونها تحت الإدارة البريطانية ، قد جعل منها ملجأ وملاذاً لجماعة من الإتحاديين الذين كانوا يخشون الوقوع في قبضة عبد الحميد الحديدية ، وهناك معلومات تشير إلى أن أعضاء من « تركيا الفتاة » قد أسسوا في القاهرة عام ١٨٩٩ مكتبة للطباعة والنشر ، هدفه إصدار جريدة تدعى « القانون الأساسي » لتكون لسان حالهم في الدعاية لمبادئهم<sup>(٢)</sup> ، غير أن سالانيك ظلت المركز الأساسي والأمين لنشاطهم السياسي والعسكري على السواء<sup>(٣)</sup> ، نظراً لتزايد تنظيمهم بإنشاء فرق « القوميته جي » . ولما شعر السلطان بقوتهم وظهور خلاياهم في « مناستر » أيضاً « عمد إلى تشتيت شملهم ورماهم بجملة عسكرية تولى أمرها القائد « شمسي باشا » ، فدخل شمسي قاعدة الولاية كقائد فاتح ، إلا أن أحد ضباط القنصاة « مفيد بك » أقدم بجرأة نادرة على قتل هذا القائد والإلتجاء وأفراد فرقته إلى الجبال ... »<sup>(٤)</sup> .

وبالرغم من هذا التحرك الإتحادي ، فإن الجمعيات التي تأسست داخل

(١) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، ص ١٦٥ .

(٢) زين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٣) باعتبار سالانيك منطقة يتكاثر فيها النفوذ الأجنبي ، فإن النشاط المعادي للدولة العثمانية لم يقتصر على الماسونية والدونمة واليهود والقرى الدولية ، بل ان مسيحيي سالانيك وقفوا أيضاً ضد السلطان العثماني في أكثر من مرة . ومنها على سبيل المثال ما حدث في ٥ أيار ( مايو ) عام ١٨٧٦ ، عندما اختلق المسيحيون حادثة جانبية ، لكي يتسنى للدول الأوروبية ان تتدخل وتضاعف نشاطها ضد الدولة العثمانية ، وتطالب بحماية المسيحيين مقدمة لفصلهم عن الحكم العثماني .

انظر : محمد فريد بك الهامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(٤) الأسرار ، ١٠ نيسان ( ابريل ) ، ١٩٣٨ ، العدد ١ ، ص ٣ .

الدولة العثمانية لم تستطع أن توسع نشاطها بسبب صرامة النظام الحميدي وإتقان عمل الجاسوسية . ولكن بعد عام ١٩٠٥ وجدت جمعية الإتحاد والترقي مجالاً واسعاً لعملها في الولايات الثلاث : مناستر ، قوصوه ، سالانيك ، بسبب المراقبة الدولية التي كانت موجودة فيها<sup>(١)</sup> ، برعاية إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا . وكانت كل ولاية من هذه الولايات تخضع لمراقبة دولة أو اثنتين من هذه الدول الخمس . إلا أن سلانيك تبعاً لأهميتها عين لها هيئة عليا للمراقبة الدولية حتى لا يتيسر للدولة العثمانية مراقبة التحركات المناهضة للسلطان ، وإن كان هناك مفتش عثماني عام إلا أن وجود الدول الخمس كان يشل من تحركه .

وفي أوائل القرن العشرين رأت الجمعية ضرورة استمالة أقرباء السلطان ، بما يقوّي شوكتها ويدعم مطالبها ، ففر محمود باشا من الآستانة - وهو صهر السلطان - في عام ١٩٠٠ لأن فراره « من شأنه أن يقوّي حزب تركيا الفتاة ويزيده عدداً ... » وتذكر صحيفة « الخلافة » عام ١٩٠٠ بأن « محمود باشا » صرح في أوروبا بأنه « موافق على حركات حزب تركيا الفتاة ، وأن في عزمه أن يطبع رسالة يفصل فيها دسائس السلطان وحاشيته في يلديز ... » وأن نشرياته ستكون واسطة لانضمام كثير من الأهالي مع حزب تركيا الفتاة وتكون نتيجة ذلك إحداث إنقلابات أساسية في الآستانة<sup>(٢)</sup> ، ومما يؤكد تعاون الفارين العثمانيين مع الدول الأجنبية أن صهر السلطان عندما وصل إلى لندن لقي حفاوة وتأييداً من الحكومة البريطانية « وأهل السياسة والمقامات العالية هنا يساعده على تنفيذ مقاصده وترويج غاياته »<sup>(٣)</sup> .

هذا وقد شهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٧ نشاطاً ملحوظاً ضد السلطان ، فقد بدأت أفكار تركيا الفتاة تنتشر في داخل وخارج الأمبراطورية ، فهناك جماعات ركزت نشاطها في جنيف والقاهرة وجماعات أخرى نشطت في استانبول في المدارس الحربية والمدنية التي كانت نواة الحركة الثورية . وبواسطة القائد التركي مصطفى كمال صار للجمعية فروع

(١) ساطع الحصري ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) الخلافة ، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ ، العدد ٨ ، ص ٢ .

(٣) الخلافة ، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ ، العدد ٨ ، ص ٢ .

في يافا والقدس ، وقد انضم إليها قواد من الفيلق الخامس<sup>(١)</sup> . وفي عام ١٩٠٢ عقد في باريس مؤتمر إتحادي للبحث في الخطط المستقبلية وفي كيفية مناهضة السلطان ، وفي عام ١٩٠٧ عقد مؤتمر ثان وكانت مقرراته تشمل ما يلي :

- أ - إجبار السلطان عبد الحميد على ترك العرش .
- ب - تبديل الادارة الحاضرة من أساسها .
- ج - تأسيس أصول المشروطية والمشورة<sup>(٢)</sup> .

وفي الفترة التي كانت فيها جماعة من العرب وأهل فلسطين تطالب الحكومة العثمانية بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، كانت فئة عربية أخرى تتعامل مع الإتحاديين لقلب نظام السلطان عبد الحميد الثاني ، داعية إلى الإصلاح ورفع الظلم والفساد عن العرب . وكانت أهداف الإتحاديين وشعاراتهم: حرية - عدالة - مساواة ، قد استألت بعض العناصر العربية المناهضة للسلطان ، باعتبارها الغايات التي كان يسعى إليها العرب وعن طريقها يمكن أن يحققوا أهدافهم ضد « السلطان الطاغية » على حد تعبيرهم . ولا يخفى ما كان لليهود من نفوذ قوي في أوساط « جمعية الإتحاد والترقي » الذين رأوا ضرورة التخلص من السلطان العثماني لأهداف لها صلة وثيقة بمستقبل فلسطين. وقد كانت السيطرة على فلسطين أمراً عسيراً من الناحية العسكرية والسياسية ، وسيظل وضعها على هذا النحو ما دامت في حوزة الأباطورية العثمانية<sup>(٣)</sup> . لذا كانت مقررات مؤتمر « كامبل بانرمان » عام ١٩٠٧ بزرع الشعب اليهودي في فلسطين أمراً وطيد الصلة بواقع فلسطين وبأهداف الاستعمار الأوروبي. ولما كان السلطان هو العقبة التي تقف في طريق الصهيونية إلى فلسطين ، فكان من الطبيعي أن تتجه الحركة الصهيونية إلى استغلال المؤتمرات والثورات والإنقلابات ضد الحكم العثماني ، والتغلغل في كافة المجالات والأوساط التي يمكن أن يكون لها تأثير مباشر على الحكومة

(١) J. P. Garnier; *La Fin de L'Empire Ottoman*, p. 89.

(٢) ساطع الحصري ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ . انظر أيضاً : المنار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ١١٤ ، ج ١١ ، ص ٨٤٩ ، إذ تشير إلى مؤتمر « وياقة » الذي حضره جماعة من الترك والأرمن والمقدونيين والكرد والعرب واليهود والارناؤوط الذي قرر استعمال جميع الوسائل الانقلابية لتحقيق الانقلاب وخلع السلطان .

(٣) ارنولد توينبي : فلسطين جريمة ودفاع ، ص ٤١ .

العثمانية<sup>(١)</sup> . إذ أن العمل الصهيوني في عهد السلطان عبد الحميد لم يكن ملائماً لتحقيق الأهداف الصهيونية وهذا ما يؤكد القنصل البريطاني في القدس « بلش » (Blesh) الذي يصف المصاعب التي وضعتها السلطات المحلية العثمانية لعملية إنتقال ملكية الأراضي إلى الرعايا الأجانب والهادفة إلى منع الإستيطان اليهودي في فلسطين<sup>(٢)</sup> .

والواقع أن ردود الفعل العربية والحوادث المتكررة بين العرب واليهود ، كان لها أثر واضح في إصدار مثل هذه القوانين . وقد أكد وكيل القنصل البريطاني في يافا في رسالته إلى « لوثر » (Lowther) – السفير البريطاني في القسطنطينية – « من أن هؤلاء اليهود من المهاجرين الروس مشاغبون ومعتدون وبسلوكهم وأعدادهم المتزايدة يمكن أن يثيروا إستياء أهالي البلاد المسلمين والمسيحيين على السواء » . ويضيف « بأن الحوادث بين العرب واليهود إنما مردها إلى وجود شعور متزايد ضد تدفق اليهود »<sup>(٣)</sup> . وبالفعل فقد أكد « بلش » – القنصل البريطاني – أنه « وقعت صدامات في يافا بين العرب واليهود في آذار (مارس) ١٩٠٨ استدعت على أثرها الحكومة المركزية قائمقام يافا للتحقيق معه في أسباب الإضطرابات »<sup>(٤)</sup> . وقد بلغ من سوء الهجرة اليهودية والمضاعفات التي أحدثتها على الصعيد الفلسطيني والصعيد الدولي أن جعل ممثل دولة مؤيدة لليهود يتذمر من تصرفات هذه الفئة التي لا تستحق العطف<sup>(٥)</sup> على حد تعبيره .

وفي هذه الفترة كانت الدوائر الصهيونية لا تزال تسعى مع الساعين لتغيير نظام الحكم في تركيا مؤكدين استهوارهم في تحركهم إلى أن يحصلوا على مطالبهم ، فقد أشاروا في مقرراتهم إلى أنه « سنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تدبر ضدنا حين نحصل نهائياً على السلطة ، متوسلين

(١) عودة بطرس عودة : القضية الفلسطينية في الواقع العربي ، ص ٢٢٥ .

(٢) رسالة « بلش » إلى « اركونر » ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٨ ، نقلاً عن خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني ، ص ٥٥ . انظر أيضاً :

(Report) to Lowther, Dec. 1907, No. ?, in F.O. 195/2276.

(٣) (Report) to Lowther, 18 March 1908, No. 12052, in F.O. 371/591.

Blesh to Lowther, April 1908, No. ?, in F.O. 195/2287.

(٤) رسالة « بلش » إلى « اركونر » ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٨ نقلاً عن : خيرية قاسمية : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

إليها بعدد من الانقلابات السياسية المفاجئة التي سنظمها»<sup>(١)</sup>. ونتيجة للتعاون الصهيوني - الماسوني قرر «الشرق الأعظم» الفرنسي في عام ١٩٠٠ إزاحة السلطان عبد الحميد، وبدأ يجذب لهذا الغرض حركة «تركيا الفتاة» منذ بداية تكوينها<sup>(٢)</sup>. والواقع أن المبادئ اليهودية والماسونية أثرت كثيراً على منتسبي جمعية الإتحاد والترقي، الذين حافظوا على تلك المبادئ والتقاليد حتى بعد الثورة. وهناك مسألة جديرة بالتدقيق والتأمل وهي أن اليهود المنتسبين لفرقة الإتحاد والترقي أصبحوا أصحاب الكلمة العليا والنفوذ في هذه الجمعية<sup>(٣)</sup>.

وفي عام ١٩٠٨ إتسعت جمعية الإتحاد والترقي وتفاقم خطرهما خاصة بعد دخول اليهود في عضويتها، ودخول يهود «الدونمة المتسترين» (Cryptic Jew) المقيمين في سالانيك<sup>(٤)</sup>. وتعتبر هذه المدينة المركز الرئيسي لدسائسهم ومؤامراتهم، لأن هذه المدينة تضم أوفر عدد من اليهود في تركيا، ولأنها من ناحية أخرى تضم عدداً كبيراً من الدونمة<sup>(٥)</sup>. ورأى الإتحاديون أن نهاية السلطان باتت وشيكة الوقوع، فقرر أعضاء الجمعية البدء بهذه الثورة والقيام بها يوم ذكرى مقتل السلطان عبد العزيز، غير أن الظروف لم تكن مؤاتية<sup>(٦)</sup>. ولذا تأجلت من ٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٨ إلى ٢٣ تموز (يوليه) من نفس العام.

ويذكر القائد التركي جواد رفعت أتلتخان - المعاصر للسلطان عبد الحميد - أن الهدف من ثورة ١٩٠٨ هو «أن الصهيونيين يريدون تجريد السلطان عبد الحميد من سلطنته وثورته وأملاكه إنتقاماً منه ولعدم إفساح المجال له للقيام ضدّهم ثانية. والمرتدون كانوا منحصرين في سلانيك يريدون إزالة عبد الحميد من طريقهم لتصفية الجو لهم... وجمعية الإتحاد والترقي كانت

(١) محمد خليفة التونسي: الخطر اليهودي، بروتوكولات حكام صهيون، البروتوكول ١٥، ص ١٧١.

(٢) ارنست رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ص ١٢٦.

(٣) جواد رفعت أتلتخان: الخطر المحيط بالاسلام - الصهيونية وبروتوكولاتها، ص ١٥١.

(٤) Lord Eversley; *The Turkish Empire*, p. 370.

أنظر أيضاً: H M. Kallen; *Zionism and World Politics*, p. 111.

(٥) حقائق عن قضية فلسطين، صرح بها مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، ص ١٢٠.

(٦) W. Miller: *The Ottoman Empire*, p. 474.

بمحاجة إلى المال ...»<sup>(١)</sup>. ويضيف في كتابه «الإسلام وبنو اسرائيل» «أن اليهود هم الذين نشروا الفوضى في داخلية البلاد، ونظموا القوة المناهضة للحكم التركي بقصد تحطيم الأمبراطورية العثمانية، وسلحوا أعضاء تركيا الفتاة في الخارج ونظموا صفوفهم وأمدوم بالأمول، كما نظموا عصابت السلافة في البلقان»<sup>(٢)</sup>. وكان المحفل الماسوني (Macedonia Ristora) قد شارك في هذه النشاطات قبل فترة طويلة، فقبل عامين من انقلاب تموز (يولييه) حصل اليهودي قراصوه على إذن لعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي في محفله. وبهذه الطريقة أصبح أعضاء هذه الجمعية من الماسون، في الوقت الذي كان فيه قراصوه منهمكاً في تكوين اللجان الداخلية للجمعية<sup>(٣)</sup>.

هذا ويمكن القول أن اليهود لعبوا دوراً فعالاً في ثورة ١٩٠٨، ويؤكد (Seton-Watson) هذه الحقيقة بقوله: إن أصحاب العقول المحركة لثورة الإتحاد والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهوداً ومن الدونمة. وأما المساعدات المالية فانما كانت تجيئهم عن طريق الدونمة ويهود سالانيك التمويلين<sup>(٤)</sup>. وشعر العثمانيون بهذا الواقع كما تقول «المشرق» إذ «أنت الكل يعلم أن مركز ذلك الإققلاب إنما كان في سالانيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفاً»<sup>(٥)</sup>. وقد استطاعت هذه الحركة استغلال عداة العرب وبقية القوميات في الدولة العثمانية لحكم السلطان العثماني، بالرغم من أنه لم يكن هناك هدف واحد وقاسم مشترك بين المشتركين بالثورة، ولكن تعددت الأهداف

(١) جواد رفعت اتلخان: الخطر المحيط بالاسلام، ص ١٣٧. وكان اتلخان معاصراً لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، وكان مديراً لدائرة الأمن العام العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى وقد وعى أهداف الحركة الصهيونية أثناء النشاط الصهيوني قبل وبعد ثورة ١٩٠٨-١٩٠٩. ويعتبر هذا القائد من الذين تعرضوا - فيما بعد - لتهديدات الصهيونية إثر كشفه الستار عن كثير من المعلومات التي تتعلق بأطباع اليهود في فلسطين وخطرهم على العالم العربي والاسلامي. ومن مؤلفاته: اسلام صاران تهلكه (الخطر المحيط بالاسلام)، تورك أوغلي دوتسمانك طاني (أبنا التركي، اعرف عدوك)، أسرار الماسونية، كيزلي دولت (الدولة الخفية)، موسى داغي، اينه لي فيجي، الاسلام وبنو اسرائيل، تمزيق القناع الماسوني وغيره. وكان يصدر جريدة استقبال (المستقبل) وجريدة بالانجليزية باسم (United Islam Nations).

(٢) جواد رفعت اتلخان، الاسلام وبنو اسرائيل، ص ١٥١، ١٥٢.

(٣) J. Haslip; *The Sultan - The Life of Abdul Hamid II*, p. 284.

(٤) W. Seton-Watson; *The Rise of Nationality in the Balkans*, p. 134.

(٥) المشرق، آب (اغسطس) ١٩١١، العدد ٨، ص ٦١٧.

بتعدد القوميات ، وتعددت المطالب بتعدد الزعامات ، كما يمكن القول أنه لم تكن توجد أهداف مشتركة بين الإتحاديين وبين الحركة العربية سوى اشتراكها في كراهية السياسة الحميدية .

ومن هنا يجب أن نقرر حقيقة هامة ، وهي أن بعض العرب المقيمين في باريس أو في المناطق العثمانية ، إنما استغلوا من قبل الصهيونية والتمولين اليهود ، دون أن يدروا غاياتهم وأهدافهم الأساسية المتمثلة في السيطرة على فلسطين . ولما تعاون العرب مع المتنادين بخلع السلطان ، إنما كانوا يهدفون من وراء ذلك الوصول إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والإقتصادي للبلاد العربية ، بينما لم يكن اليهود والصهاينة يطالبون بمطالب إصلاحية معينة ، بل كان مطلبهم الأساسي إنشاء « مملكة اسرائيل » .

وفي ٢٣ تموز ( يولييه ) تمرد الجيش الثالث في مقدونيا وبالذات في ولاية سالانيك ، حيث أعلن الثورة وهدد بالتقدم نحو العاصمة استانبول بقيادة الماجور أحمد نيازي قائد « حصن رسنة » فاعتصم بالجبل وانضم إليه أنور باشا ومصطفى كمال وآخرون مع وحداتهم ، وسرعان ما احتلت المفارز الثورية مدينة مناستر (بيتولج) حيث يوجد مقر قيادة الجيش الأول<sup>(١)</sup> .

ويذكر « روجي بك الخالدي المقدسي » أحداث الثورة فيقول : « في يوم الخميس ٢٣ تموز ( يولييه ) ١٩٠٨ ، خرج الناس من سلانيك صباحاً ووجدوا إعلانات مخطومة بنجم الجمعية أي جمعية « الإتحاد والترقي » العثمانية تدعوهم إلى الاجتماع في يوم الجمعة لإعلان القانون الأساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان « أوليمبوس » على الطوار - الرصيف - في مدينة سلانيك وضح الجمهور قائلًا : إما الحرية وإما الموت !!... »<sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ الدارس من أسماء خطباء الثورة ، إشتراك الدول الأوروبية في التخطيط لها بالاتفاق مع الإتحاديين واليهود فكان « أول من خطب على

(١) B. Lewis ; *The Emergence of Modern Turkey*, p. 203.

انظر أيضاً : فلاديمير لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٢) روجي بك الخالدي المقدسي : الانقلاب العثماني وتركيا الفتاه ، نقلًا عن : الهلال ، ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ . انظر أيضاً : النار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ج ١١ ، ص ٨٥٦ ، ٨٥٧ .

طنف - بلكون - فندق « أوليمبوس بلاس » غالب أفندي بالتركية ثم مانويل قرصوه باليهودية الإسبانية ، ثم روصو أفندي بالفرنسية وسليمان أفندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة « عصر » بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المخصوصة - فوق العادة - بالبلغارية، وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع : فليحي الوطن ، فلتحي الأمة ، فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت»<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الظروف كان لجمال باشا - مساعد قائد الموقع في سلانيك - دورٌ بارزٌ في أحداث الثورة ، فقد عهد إليه بمفاوضة المابين باسم الجيش ، فاحتل مع فرقة من جنوده دار البرق وأبلغ برقياً حسن تحسين باشا رئيس الديوان السلطاني إرادة الجيش بضرورة إعلان الدستور...<sup>(٢)</sup> إلا أن السلطان أراد في الواقع مجابهة هذه الثورة ، وكان قد فكر بمهاجمة وحبس الجيش المتمرد عن طريق جيشه في ألبانيا<sup>(٣)</sup> . ولكن امكانية تدخل الدول الأجنبية لم تكن بعيدة عن تخيلته ، فاستبعد الفكرة لأنه كان يعلم بأن هذه الدول هي التي ساعدت الثوار الإتحاديين الذين كانوا - كما قالت صحيفة « المباحث » - « يعرفون كيف يستميلون الكثيرين من الأجانب الذين ازدحموا على العاصمة يريدون أن ينالوا شيئاً من الإمتياز لاستثمار منافعها ، فكانوا يمتنونهم بالوعد أنه إذا انتهت السلطة إليهم أنالوهم ما يرغبون فيه ... »<sup>(٤)</sup> ويعترف المؤرخ الصهيوني (Kallen) بأن أكثر أعضاء جمعية الإتحاد والترقي كانوا من « الدوغة » ، ومن عاشوا في المنفى ، وكان هؤلاء تلاميذ السياسة الأوروبية<sup>(٥)</sup> ، الذين كانت تأتيمهم المساعدات المالية

(١) رويحي بك الخالدي المقدسي ، المقال السابق ، نقلا عن الهلال ، ١ كانون الأول (ديسمبر)

١٩٠٨ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ انظر أيضاً : المنار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ،

١١٢ ، ج ١١ ، ص ٨٥٦ . وقد أنشد الجمع المحتشد بالفرنسية :

Allons Enfants de la Patrie le Jour de Gloire est Arrivé

وترجمته بالتركية : قالقك اي اهل وطن شان كونلاري كلاي .

ويعني بالعربية : هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد وافي .

(٢) الأسرار ، ١٠ نيسان (ابريل) ١٩٣٨ ، العدد ١ ، ص ٦ .

(٣) W. Miller; *The Ottoman Empire*, p. 474.

(٤) خليل بك خالد : نشأة الانقلاب العثماني ، نقلا عن : المباحث ، ١٥ حزيران (يونيه)

١٩٠٩ ، العدد ١٣ ص ٥٦١ . انظر : المباحث ، ص ٥٥٨ - ٥٦٤ . وقد نشر هذا

المقال أيضاً في مجلة « القرن التاسع عشر » .

(٥) H.M. Kallen; *Zionism and World Politics*, pp. 111, 112. (٥)

من الرأسمالية العالمية ، من فيينا وبودابست وبرلين وربما من لندن وباريس<sup>(١)</sup> . كما يظهر النفوذ الأوروبي في أوساط الإتحاديين بما له من سيطرة رأسمالية واقتصادية في الإقتصاد العثماني ، فقد كانت المؤسسات الضخمة في الدولة العثمانية تخضع لسيطرة البعثات الأجنبية وأصبحت رؤوس الأموال الأجنبية ومشاريعها بارزة ومؤثرة في الإقتصاد العثماني<sup>(٢)</sup> .

ونظراً لهذه الظروف التي أحاطت بالثورة ، رضخ السلطان لمطالب الجمعية ، والظاهر أنه تأثر تأثراً عميقاً من أحداث ١٩٠٨ بعد ان رأى الملابسات المحيطة بها واشتراك اليهود ويهود الدونمة في التخطيط لها - بالإضافة إلى خوفه على العرش - مما جعله يتنبأ بأن هذه الثورة ليست في مصلحة تركيا ولا العرب فصرخ عالياً : « رباه ! عاقب هؤلاء المسؤولين عن هذه النكبة »<sup>(٣)</sup> .

وفي اليوم التالي من الثورة أي مساء الجمعة ٢٤ تموز ( يوليه ) ١٩٠٨ وردت رسالة برقية إلى حلي باشا المفتش العام لولايات مكدونيا بصدور الارادة السنوية بإعادة القانون الأساسي . فاجتمع الناس في سراي الحكومة وأعلنت الحرية والقانون الأساسي رسمياً بحضور المفتش العام ، ومشير الفيلق ابراهيم باشا وموظفي الحكومة والبلدية وأعضاء الجمعية وابتدأ موسم الأفرح والسرور<sup>(٤)</sup> .

ويمكن القول أن قادة الحركة طلبوا من بعض قطاعات الجيش في مختلف أنحاء الدولة العثمانية المجيء إلى سلانيك - مركز الثورة - حتى يزداد عدد الوحدات المناوئة للسلطان واعداد العدة لخلعه فيما بعد إذا ما سمحت الظروف . وقد أفاد القائم بأعمال مساعد القنصل البريطاني في يافا في تقرير موجه إلى القنصل « بلش » في القدس بأنه في ٢٩ آب ( أغسطس ) ١٩٠٨ قد أبحر على متن الباخرة الروسية « لاظريف » ( La Zareff ) بقيادة « بليكوف » ( Belicoff ) ( ٤٠٠ ) جندي من جنود الإمدادات متوجهين إلى سلانيك<sup>(٥)</sup> . وكانت هذه التحركات والظروف الداخلية

(١) W. Seton-Watson; *op. cit* , p. 135.

(٢) A. Rappoport; *History of Palestine*, p. 322.

(٣) J. Haslip; *The Sultan...*, p. 285.

(٤) روجي الخالدي : المصدران السابقان ( الهلال والمنار ) ، انظر ايضاً عن ردود فعل ثورة ١٩٠٨ في مصر : المنار ، ٢٨ تموز ( يوليه ) ١٩٠٨ ، م ١١ ، ج ٦ ، ص ٤٦٤ .

(٥) Blesh to Lowther, 31 August 1908, No. 44, in F.O. 195/2287.

والخارجية قد ازدادت حدة ، ويمكن القول أن الأسباب التي دعت السلطان إلى عدم مواجهة الجيش المتمرد هي ذاتها الأسباب التي دعت إلى إصدار الدستور ، بالإضافة إلى إرضاء الأكترية العثمانية المطالبة بإصداره ، وكان هناك أسباب أخرى دولية من بينها الظروف السياسية الدولية التي كانت تنذر بالخطر من جراء المؤامرات التي تبنتها الدول الأجنبية ضد السلطنة<sup>(١)</sup>. وكانت إنجلترا في مقدمة هذه الدول وهي أقرب المرشحين المنطقيين لأن تتشرف بجلع السلطان ، لأنها وصلت إلى الدرجة التي لا تخسر معها شيئاً إذا قلب النظام القائم في الأمبراطورية العثمانية . كما أن فرنسا لم تكن لها رغبة أكيدة في إبقاء كيان الدولة العثمانية على هذا الوضع وإلى الأبد ، بل كانت تميل ميلاً تقليدياً كمعظم الدول الأوروبية إلى التأجيل بدل مواجهة المشاكل التي لا بد أن تنجم عن أي تبدل في الوضع<sup>(٢)</sup>.

وانطلقت الإشاعات بين شعوب الدولة العثمانية ، بأن ثورة ١٩٠٨ إنما مردها إلى تدخل الدول الأجنبية ، وقد أكدت الأحداث اللاحقة صحة ما شاع بين العثمانيين الذين اقتنعوا « بأن لبعض دول الغرب يدأ في الثورة التي حدثت في العاصمة . وإذا طلبت إليهم التخصيص قالوا : إنجلترا وفرنسا لأن لهما في الشرق أغراضاً ومآرب . فالأولى على زعمهم ترغب في مد يدها إلى الحجاز واليمن ، والثانية تطمع باحتلال سوريا ، وقد رسخ هذا الاعتقاد في عقل بعضهم حتى أصبح يعتبر هذا الأمر أكيداً قريب الوقوع »<sup>(٣)</sup>. وقد بلغ الأمر ببعض الصحف إلى تجاهل ونفي هذه الحقائق ، ووجدنا صحيفة « لسان الاتحاد » في عامها الأول ١٩٠٩ - وهي لسان حال الاتحاديين - تنفي هذه الأفكار الراجحة لأنه لا أساس لها من الصحة لا لشيء إلا « لأن الدولتين الإنجليزية والفرنساوية مخلصتان للحكومة العثمانية الحرة ... »<sup>(٤)</sup>. ويؤكد السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته ، الدور الذي لعبته الدول الأوروبية في القضاء على الدولة العثمانية وعلى حكمها فيقول : « بأن منظمة مناستر كانت تدار بواسطة الإنجليز ، بينما أعضاء تركيا الفتاة في سلانيك كانوا تحت تأثير ماسون ألمانيا وإيطاليا . وقد

(١) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، ص ١٦٨ .

(٢) ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ١٥٥ ، ص ١٥٦ .

(٣) لسان الاتحاد ، ٢٣ نيسان ( أبريل ) ١٩٠٩ ، ص ٢٠٣ .

(٤) لسان الاتحاد ، ٢٣ نيسان ( أبريل ) ١٩٠٩ ، ص ٢٠٣ .

بدأ أنور ونيازي تحت ضغط الماسون الألمان - مع جماعة سلانيك - بالتحرك ضدي ... وأن الإتحاديين في سلانيك كانوا يرون أن التحالف مع الانجليز ضرورة ملحة لأنها أكبر دولة بحرية...<sup>(١)</sup>. ويرى مصطفى كامل أن دول أوروبا التي كانت تتظاهر بتطبيق المبدأ المقدس ، مبدأ حماية استقلال الدولة العثمانية كانت هي نفسها التي تجزي الدولة العلية بإسم هذا المبدأ اقدس نفسه<sup>(٢)</sup>. ومما يؤكد تحالف الانجليز مع الإتحاديين ما أبداه السفير البريطاني « لوتر » (Lowther) من العطف الخاص الذي تكنه إنجلترا لتركيا الجديدة ، وصرح أن من مهام إنجلترا وأكبر واجب عليها في الوقت الحاضر أن تساعد بكل قواها رجال الإصلاح في السلطنة العثمانية<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن من أمر ، فبعد صدور الارادة السلطانية بإعادة مجلس المبعوثان جرت الإنتخابات في الولايات العثمانية ، وأسفرت عن انتخاب ستين عربياً بينهم خمسة فلسطينيين في مقدمتهم روجي بك الخالدي المقدسي<sup>(٤)</sup> وسعيد بك الحسيني وحافظ بك السعيد عن متصرفية القدس ، والشيخ أحمد أفندي الحماش عن لواء نابلس ، وأسعد أفندي شقير عن لواء عكا<sup>(٥)</sup>.

(١) Sultan Abdül Hamit;in: *Hatira Defteri*.

(٢) مصطفى كامل : المسألة الشرقية ، ص ١٢ .

(٣) توفيق برو : العرب والترك ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، ص ٣٤٢ ، وصفحات متفرقة أخرى .

(٤) بعد صدور المشروطة في ٢٤ تموز ( يولييه ) ١٩٠٨ ، كان روجي الخالدي لا يزال قنصلاً للدولة العثمانية في بورودو بفرنسا ، فبادر إلى كتابة مقال طويل جعل عنوانه « الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة » وبعث به إلى مجلة « الهلال » بالقاهرة ، نشرت المجلة القسم الأول منه في أول تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٠٨ وذكرت انه للمقدسي . وكان روجي الخالدي في كتاباته التي نشرها خلال عشر سنوات - وهو قنصل عام في بورودو - يكتفي بهذا القرب ويتخفى وراءه دون ان يذكر اسمه الصريح مراعاة لمنصبه الرسمي ، وحرصاً على عدم اثاره الحكومة العثمانية ضده .

وحين صدر القسم الثاني من المقال في أول كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٠٨ في « الهلال » كان الخالدي قد ترك منصبه في بورودو ، واختاره أهل القدس نائباً عنهم في مجلس المبعوثان العثماني في الآستانة ، وحينئذ صدر المقال باسمه الصريح « لروجي بك الخالدي المقدسي نائب القدس الشريف في مجلس المبعوثان » ثم جمعت المقالتان وصدرتا في كتاب طبع بطبعة الهلال عام ١٩٠٩ وكانت مجلة « المنار » قد نشرتها في حينه. للمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع انظر : ناصر الدين الأسد : محاضرات عن محمد روجي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين ، ص ١٠٨ .

(٥) Blesh to Lowther, 26 Nov. 1908, No. 55, in F.O. 195/2287.

انظر أيضاً : الهلال ، الأول من كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٠٨ ، ج ٣ ، ص ١٧٧ .

ومجموعة أخرى من بكوات أهل الشام بينهم أعضاء في جمعية الإتحاد والترقي<sup>(١)</sup>. وقد تمت عليهم مجلة «الهلال» خدمة الأمة وتدبير شؤونها السياسية والادارية نظراً لما حازوه «من ثقة الأمة في علمهم وصدق عثمانيتهم» وهم لا ريب من خيرة أبناء الوطن.

ومن خلال الانتخابات الأخيرة، حاولت الأوساط الصهيونية في فلسطين تثبيت قدمها من الناحية السياسية والقانونية، فدعت اليهود إلى الإنتساب إلى فرع جمعية الإتحاد والترقي في القدس، ورشحت أحد الصهيونيين في الانتخابات هو المسو ليثي - مدير بنك أنجلو - فلسطين - في القدس، ولكنه فشل نظراً لمعارضة العرب في فلسطين لهذا الترشيح، ونظراً لضالة الناخبين اليهود<sup>(٢)</sup>. إلا أن النتائج العامة في مختلف المناطق العثمانية أسفرت عن نجاح خمسة ممثلين عن الصهيونية واليهود. وكانت جمعية الإتحاد والترقي قد عملت على عقد اتفاقيات مع المجموعات غير التركية في اختيار مرشحيهم للانتخابات، وقد نجحت في معظم الأحوال في عقد مثل هذه الاتفاقيات<sup>(٣)</sup>.

وفما يختص بفلسطين يذكر «بلش» (Blesh) - القنصل البريطاني في القدس - من أن أخبار إعادة صياغة الدستور العثماني لم تستأثر بالانتباه كثيراً

(١) كانت النتائج العامة للانتخابات في بلاد الشام على النحو التالي :

في بلاد الشام

سليمان أفندي البستاني ورضا بك الصلح عن بيروت وأقضيتهما - فؤاد بك خلوصي من أعضاء جمعية الإتحاد والترقي عن لواء طرابلس الشام - الشيخ احمد أفندي الخماش من علماء نابلس عن لواء نابلس - أسعد أفندي شقير من علماء عكا عن لواء عكا .

الأمير محمد ارسلان من سراة لبنان عن لواء اللاذقية

في ولاية سوريا (دمشق)

عبد الرحمن باشا محافظ موكب الحج ، وشفيق بك المؤيد ، ورشيد بك الشمعة ، ومحمد أفندي العجلاني .

في متصرفية القدس

روحي بك الخالدي المقدسي ، وسعيد بك الحسيني ، وحافظ بك السعيد .

(٢) انظر : Y. Roi; *The Zionist Attitude to the Arabs 1908 - 1914*, p. 207.

كانت القوانين العثمانية تمنع اليهودي الأجنبي من المشاركة في الأعمال الخاصة بالدولة وإدارتها، ومنها منعه من الاشتراك في العمليات الانتخابية. وتذكر «صحيفة العالم الاسلامي» من انه فيما يختص بالانتخابات حدث اتفاق بين الأرمن والاسرائيليين في الدولة العثمانية لتنسيق الجهود فيما بينهم. انظر: *Revue du Monde Musulman*, T. 5, p. 730, (Paris 1908).

(٣) Fitz-Maurice to Lowther, 30 Nov. 1908, No. 7, in F.O. 195/2281.

انظر أيضاً : Lowther to Grey, 1 Sept. 1908, No. 30971, in F.O. 371/546

في القدس ، وأن الصحيفة الرئيسية في السنجق في عددها الصادر في ٢٨ تموز (يوليه) ، نشرت برقية تشير فيها ان البرلمان قد حل ، وان هذه البرقية قد قدمت رسمياً من قبل المتصرف لعقد اجتماع يضم الرؤساء الروحيين<sup>(١)</sup> . والظاهر انه بعد ثورة الإتحاديين وإعادة الدستور ١٩٠٨ ، حدث اجتماع بين القنصل البريطاني في القدس وبعض الزعامات الإسلامية والمسيحية لإفهام القنصل أن أهدافهم هي المساواة وعدم التمييز بين مختلف فئات الشعب ، يؤكد القنصل البريطاني من أنهم « بذلوا قصارى جهدهم للتأكيد لي - وقد صدقوا - بأنهم محررون من أية قيود مذهبية أو نزوات للحصول على امتيازات ، وإنما يسعون للمساواة فحسب مع باقي الرعايا من أي جنس أو دين ، ويمكنني أن أذكر شيئاً واحداً يدعم ما شرحته أعلاه ، وهو أن معظم هؤلاء الذين يتكلمون الإنجليزية بطلاقة يتعاملون مع الانجاز والأمريكيين بحرية ويوسلون أولادهم للمدارس الإنجليزية في القدس حيث يتلقون التعاليم المسيحية<sup>(٢)</sup> . وهو بذلك يشير إلى تحرر زعماء فلسطين من التعصب الديني والثقافي . ويؤكد هذا الاجتماع من ناحية أخرى بأن المسلمين والمسيحيين في فلسطين ليسوا متعصبين بالنسبة للطوائف الأخرى ، ويقصدون هنا الطائفة اليهودية التي أخذت بريطانيا على عاتقها حمايتها ، وهذا يدل دلالة واضحة على عدم تمييز الفلسطينيين بين مختلف طوائفهم ، أما الحالة فقد كانت عكس ذلك بالنسبة لليهود الأجانب الذي رفض شعب فلسطين هجرتهم . وبالإضافة إلى الاجتماع الذي عقد بين الزعماء المسلمين والمسيحيين من جهة والقنصل البريطاني في القدس من جهة أخرى ، فقد عقد اجتماع آخر بين القنصل وبين نائب القدس روجي بك الخالدي الذي أبلغه « بأنه سيسافر مع رفيقيه إلى القسطنطينية ... وقد أوضح لي بأن رأيه هو أن يبحث البرلمان في أول جلسة يعقدها في مسألة تعديل الدستور » . وأضاف روجي الخالدي للقنصل مؤكداً ما سبق أن أعلنه زعماء المسلمين والمسيحيين من أنه « لا يعترف بالإمتيازات للمسلمين ، وأن مثل هذه التشريعات في حال وجودها فانها تكون نتيجة للجهل<sup>(٣)</sup> . وبما لا شك فيه أن عدداً من التساؤلات تثار حول حرص الزعماء الفلسطينيين

Blesh to Lowther, 6 Aug. 1908, No. 39, in F.O. 195/2287. (١)

Blesh to Lowther, 6 Aug. 1908, No. 39, in F.O. 195/2287. (٢)

Blesh to Lowther, 31 oct. 1908, No. 57, in F.O. 195/2287. (٣)

على الإجماع بالقتل البريطاني ، وربما يعود ذلك إلى أهمية الفصيلة البريطانية في مسار السياسة العثمانية ، وإلى تأكيد هؤلاء الزعماء بأن الفلسطينيين إنما ينددون المساواة بين الجميع ويحرصون على الإصلاح وتطبيق العدالة من قبل الحكم التركي الجديد . أما فيما يختص بالهجرة اليهودية إلى فلسطين فليس هناك مجال للشك بأن زعماء فلسطين الجدد وفي مقدمتهم روجي بك الخالدي وسعيد بك الحسيني وحافظ السعيد قد أبدوا معارضتهم الشديدة لها ، وألقوا خطاباً عديدة في هذا الشأن في البرلمان الجديد ، وكان لها صدَى واسع وناجحٌ ومؤثرٌ في وقف الهجرة اليهودية ولو إلى حين .

هذا ويمكن القول أنه بعد الانتهاء من الانتخابات في جميع أنحاء الدولة العثمانية وإعادة دستور « مدحت باشا » عقد البرلمان الجديد أولى جلساته يوم الخميس في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ بحضور السلطان وبحضور الأمراء العثمانيين ، ولكن منذ اليوم الأول وطد السلطان عزمه على أن يتخلص من الإتحاديين ومن الدستور ومن البرلمان<sup>(١)</sup> . لأن جمعية الإتحاد والترقى عملت منذ البداية على تحطيم جهاز القصر<sup>(٢)</sup> . فاتبع السلطان سياسة خاصة مع مناوئيه حتى أنه في ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ دعا النواب إلى وليمة غداء في القصر ، وطبقاً لحسابه فقد استطاع أن يستميل عدداً كبيراً منهم بما فيهم أكثرهم انتقاداً له أحمد رضا<sup>(٣)</sup> .

#### ٤ - دور اليهود في ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان في عام ١٩٠٩

تؤكد « الموسوعة اليهودية » بأن السلطان عبد الحميد الثاني عامل يهود الدولة العثمانية معاملة طيبة ، ويشهد بذلك بعض المقرئين إليه من اليهود أمثال « أرمينيوس فامبري » (A. Vambery) الصديق الشخصي للسلطان الذي صرح « أنه من خلال الصداقة المستمرة التي تربطني بالسلطان منذ سنوات طويلة كان لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود . وكان أول حاكم تركي يعطيهم المساواة أمام القانون مع رعاياه المسلمين ، وعندما استلم الحكم أمر بإعطاء رواتب شهرية لخواصم تركيا الأكبر ، ومعنى آخر عامل الخواصم كما يعامل كبار موظفي الدولة واتخذ تقليداً بأن يرسل

(١) زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط ، ص ٥٥ .

(٢) Barclay to Grey, 29 July 1908, No. 26307, in F. O. 371/544. (٢)

(٣) Lowther to Grey, 14 Jan. 1909, No. 2283, in F. O. 371/760. (٣)

سبباً في عيد الفصح إلى حاخام القسطنطينية ثمانية آلاف فرنك لتوزع على فقراء اليهود في العاصمة التركية (١). وعندما منعت حكومة كريت المحلية في عام ١٨٨١ مشاركة اليهود في الانتخابات البلدية ألغى عبد الحميد هذه الانتخابات ووبخ السلطات لتعديها على حقوق اليهود. وفي عام ١٨٨٢ ونتيجة للحريق الذي شب في الحي اليهودي «حسكني» (Haskani)، تشردت ستة آلاف عائلة يهودية في القسطنطينية، فبذل السلطان عبد الحميد ما باستطاعته لتخفيف هذه الكارثة عن اليهود (٢).

ويؤكد «شاهين مكاربوس» - وهو مؤرخ معاد للسلطان عبد الحميد - من أن السلطان العثماني عامل اليهود معاملة طيبة وأنه في عام ١٨٩٦ م (٥٦٥٦ ع) أنعم بالوسام المجيدي على حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية بمصر وتوابعها «رابي أهارون بن سيمثون» (Rabbi Aharon Ben Simeon) وفي عام ١٩٠٢ م (٥٦٦٢ ع) منحه الوسام العثماني الثاني (٣).

وبالرغم من هذه المعاملة الطيبة، إلا أن السلطان العثماني كان يميز في المعاملة بين اليهودية وبين الصهيونية، وتؤكد ذلك «الموسوعة اليهودية» بقولها، انه نظراً لأهداف الحركة الصهيونية المتعاطمة ارتاب السلطان بهذه الحركة وسياستها وبالتالي عمل ضدها ولم يكن متعاطفاً معها أو مساعداً لها، وقد كانت نظرتهم إلى اليهود تحالف نظرتهم إلى الصهيونية (٤). على أنه مما لا شك فيه أن هؤلاء اليهود الذين عوملوا معاملة حسنة قد تعاونوا مع الصهيونية باعتبارها الحركة المحولة لإعادة الأراضي المقدسة إلى الشعب اليهودي ولا يخفى دور اليهود الفعال في ثورة ١٩٠٨ وفي حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩ بالاتفاق مع «جمعية الإتحاد والترقي»، ولا يخفى ما كان للدونمة والماسونيين من نفوذ قوى في أوساط تلك الجمعية (٥).

(١) *The Jewish Encyclopedia*, vol 1, p. 47.

انظر أيضاً: الموسوعة اليهودية بالروسية، م ١، ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) المصدران نفسهما بالانجليزية ص ٤٧، والروسية ص ٧٤.

(٣) J. Landau: *Jews in Nineteenth-Century Egypt*, p. 238.

انظر أيضاً النص الاصل في: شاهين مكاربوس: تاريخ الاسرائيليين ص ٢٠٨، ومعاملة

السلطان الحسنة لبقية الاحبار اليهود، ص ٢١٠ - ٢١٢.

(٤) (باللغة الروسية) *The Jewish Encyclopedia*, vol. 1, p. 75.

(٥) B. Lewis: *The Emergence of Modern Turkey*, p. 209.

ويذكر جواد رفعت أتلخان الارتباط الوثيق بين الصهيونية والماسونية واليهودية والدونمة ، ويؤكد القائد التركي بأن السلطان العثماني حرص على إبقاء الدونمة (المرتدين) في سلانيك وعدم إفساح المجال لجهيئهم إلى الآستانة لكي يتجنب تحركاتهم . ونتيجة لتصلبه تجاههم عادوه عداوة شديدة ، فقاموا بالدعاية ضده لدى الشعب والجيش ، كما أن الأدوار التي قام بها الثلاثي المحامي منير سالم وقارصوه وجاويد في حادثة خلع السلطان عبد الحميد كانت مهمة جداً ، وهؤلاء هم الذين قاموا بدور بارز في تأسيس وتوسيع جمعية الإتحاد والترقي المرتبطة برابطة متينة إلى التشكيلات الماسونية التي أسست بمال وذكاء اليهود . ويضيف قائلاً : بأن اليهود هم الذين قاموا بحوادث ١٩٠٨ ، إذ ثبت دخول ضباط الدونمة (المرتدين) في صفوف الجيش بزى الجنود ، وبدأوا بتحريضهم للقيام بالثورة<sup>(١)</sup> .

وهناك معلومات أخرى تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فنجد إنشائها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص فأور باشا مثلاً هو ابن رجل بولندي ، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة بالدونمة وقارصوه من اليهود الأسبان القاطنين في سلانيك ، وكان طلعت باشا بلغاريًا من أصل غجري اعتنق الإسلام ظاهراً ، أما أحمد رضا - أحد زعمائهم في تلك الفترة - فقد كان نصفه شركسياً ، والنصف الآخر مجرياً<sup>(٢)</sup> . كما أن اليهوديين « نسيم روسو » و « نسيم مازلياح » كانا من العناصر المؤسسة والفعالة في حركة « تركيا الفتاة » . كما أكدت الأحداث المعاصرة عظم نفوذ اليهود وكثرتهم الغالبة في هذه الحركة<sup>(٣)</sup> . بل من الأهمية بمكان تسليط الأضواء على فئة قلما أشار إليها مؤرخو أحداث ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ، وهي جماعة البكتاشية<sup>(٤)</sup> ، التي لعبت دوراً هاماً في مساعدة الإتحاديين ضد

(١) جواد رفعت أتلخان : الخطر المحيط بالإسلام - الصهيونية وبروتوكولاتها ص ٧٦ .

(٢) W. Seton-Watson; *The Rise of Nationality in the Balkans*, pp. 135-136.

(٣) انظر : جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ١٧٦ ، هيربرت فيشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٤) البكتاشية : وهي امتداد للحركة القرمطية ، تنسب إلى الحاج بكتاش أحد الأولياء في الأناضول ، وقد انتقلت البكتاشية إلى البلقان بعد انتقال الإسلام إليه ، وانتشرت في ألبانيا انتشاراً ملحوظاً في منتصف القرن السادس عشر الميلادي . وقد شذت عن التعاليم الإسلامية فلم تر مانعاً من ترك الصلاة والصوم ، كما أباحت شرب الخمر . وأصبحت البكتاشية فيما بعد =

السلطان العثماني ، لاسيما وان بعض زعماء « تركيا الفتاة » كانوا ممن ينتمون إلى هذه الجماعة<sup>(١)</sup>. ولعل من الأخطاء التي ارتكبها السلطان عبد الحميد الثاني أن لم يكن أحد من الرجال الأربعة المستشارين الذين وقع اختياره عليهم من أصل تركي فهم اما يونان أو يهود أو أرمن ، وجميعهم باستثناء قائدهم أسعد كانوا أعضاء بارزين في جمعية الإتحاد والترقي<sup>(٢)</sup>.

وتؤكد مذكرة « لوثر » إلى الخارجية البريطانية ، بأن لجنة الإتحاد والترقي تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفاً يهودياً - تركيا مزدوجاً ، فالأترك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ، بينما يمدها اليهود بالعقل المدبر ، وبالتنظيم والمال وبالنفوذ الصحفي القوي في أوروبا<sup>(٣)</sup>.

وفي ١١ تموز (يوليه) عام ١٩١١ أوردت صحيفة « التايمز » (Times) معلومات عن جمعية الإتحاد والترقي بقولها : أن لجنة سلانيك قد تكونت تحت رعاية ماسونية بمعاوضة اليهود والدونمة في تركيا وكان مركزهم في سلانيك. وان يهودا مثل قارصوه وسالم وساسون وفارجي ومازلياح ومن الدونمة مثل جاويد وأسرة بالجبي قد لعبوا دوراً بارزاً في تنظيم اللجنة المذكورة وفي مناقشات جهازها المركزي في سلانيك . وقد لعب طلعت باشا دوراً فعالاً في هذه اللجنة منذ ان كان موزعاً للبريد والبرق في أدرنة ، فقد كلف بنقل الرسائل السرية من وإلى سلانيك ومناسراً ، وتكشف « الأسرار » بأنه « بذل مجهوداً عظيماً في نشر نفوذ الإتحاديين واستعان على ذلك بالبنائين الأحرار (الفرمسون) ، يبشر بالعصبة ... فأيدها البنائون الأحرار ودعموها بنفوذهم<sup>(٤)</sup> . وقد استطاع فرع جمعية الإتحاد والترقي في سلانيك إخفاء أهدافها وتحركاتها في البدء لأن جمعية الأحرار - التي جعلت شعارها الإتحاد والترقي ودبرت أمرها تدبير من طب لمن حب - تستعين

= حركة سياسي - دينية ، فاننسبت إليها جماعات مسيحية لأنها رأت فيها حركة تمكنها من الجمع بين المسيحية والاسلام .

(١) محمد موفاكور : ( استاذ في فرع الاستشراق في جامعة برشتنا - يوغوسلافيا ) مقال : البكتاشية ، نقلًا عن : العربي ، آذار ( مارس ) ١٩٧٧ ، العدد ٢٢٠ ، ص ٦٤ - ٦٨ .

(٢) J. Haslip; *The Sultan - The Life of Abdul-Hamid II*, p. 283.

(٣) ملف وثائق فلسطين ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٤) « الأسرار » ، ١٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٣٨ ، العدد ١ ، ص ٤ . أنظر أيضاً : محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، ص ١٦٦ .

على قضاء حاجتها بالكتمان الشديد فتنقل أسرارها شفاهاً<sup>(١)</sup>. ولكن أمرها كشف بعد ذلك « لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاختفاء ، فأحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المابين ، فأرسلت الجواسيس من الآستانة ، فقررت الجمعية إعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن ، وعينت فدائيين من أعضائها بالقرعة أو بالتراضي<sup>(٢)</sup>. وقد يكون مقتل اسماعيل ماهر باشا بشكل غامض بعد انقلاب تموز ( يولييه ) عام ١٩٠٨ لأنه علم بعض أسرارهم وكتب بها إلى يلدز<sup>(٣)</sup>.

ومن المؤكد أن قادة هذه المحافل كانوا من اليهود ، وهذا وضع يثير كثيراً من الشكوك وخاصة في نفوس من كانوا يرون في الماسونية محاولة تقوم بها اليهودية العالمية للسيطرة على العالم<sup>(٤)</sup>. ويرى (Garnier) بأن يهود سالانيك المنتمين إلى المحافل الماسونية كان باستطاعتهم أن يحددوا بعزم العناصر الحكومية التي ستتولى الحكم في المستقبل ، وأن المبادئ الأساسية الموجهة للاتحاديين إنما ظهرت تحت تأثير الحركة الصهيونية المتخفية<sup>(٥)</sup>. وبلغ من نفوذ اليهود في أوساط تركيا الفتاة أن جعل مركز الجمعية الرئيسي في سالانيك إرضاء لرغبات اليهود والماسونية معاً ، بالإضافة إلى كثرة أعضائها في مقدونيا حيث يشكلون عناصر فعالة في الجمعية<sup>(٦)</sup>.

والواقع أنه بعد ثورة عام ١٩٠٨ ازداد النفوذ اليهودي في أوساط السلطات العثمانية ليس في تركيا فحسب وإنما في فلسطين أيضاً ، وتذكر صحيفة « العالم الإسلامي » انه بعد تدخل الصحافي « بن يهودا » لدى باشا القدس استطاع إلغاء المضايقات التي كانت مفروضة على قبول المهاجرين اليهود من أصل روسي أو روماني. ومن ناحية ثانية فقد كُتبت في صحيفة « الأفكار الحديثة » عن تدفق المهاجرين اليهود من أصل يمني إلى فلسطين

(١) المقتبس ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٠٩ ، ج ٣ م ، ج ١٢ ، ص ٢٧٢ .

(٢) روجي بك الخالدي المقدسي ، المقال السابق ، نقلاً عن : الهلال ، ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، النار ، ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨ ، ج ١١ م ، ص ٨٥٥ .

(٣) رسالة « لوثر » إلى « غراي » ٢٩ أيار ( مايو ) ١٩١٠ ، نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٤) ارنست رامزور : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٥) J. P. Garnier; *La Fin de L'Empire Ottoman*, p. 90.

(٦) W. Miller; *The Ottoman Empire and its Successors*, p. 474.

حيث سكن ألفان منهم في القدس وشغلوا الأحياء المميزة<sup>(١)</sup>. وقد بلغ من نفوذ اليهود أيضاً بين أوساط الإتحاديين ما جعلهم يؤثرون على اتجاهات الجمعية من الناحية الدولية ، إذ كانت العلاقة جيدة مع كل من إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا بينما كان موقف أعضاء تركيا الفتاة المعادي لروسيا معناه أن النفوذ الروسي سيتضاءل حتماً إذا تولى أعضاء « تركيا الفتاة » الحكم بصورة عملية ومستمرة<sup>(٢)</sup> ، وذلك بسبب العداء المستحكم بين روسيا واليهود بسبب ظروف اضطهاد القياصرة الروس للجماعات اليهودية منذ فترة طويلة .

ويذكر أنه بعد اعلان المشروطية (الدستور) في ٢٤ تموز (يوليه) عام ١٩٠٨ دخل كثير من الدوغة إلى الآستانة وبدأوا يمارسون ضغطاً سياسياً واقتصادياً على الأتراك ، حيث حثوا الناس على الإحتجاج والاضراب أثناء التحاق البوسنة والهرسك بالنمسا ، وهم الذين استغلوا الأتراك مالياً مستفيدين من تلك الظروف<sup>(٣)</sup>. ويؤكد « خالد العظم » - وهو معاصر لهذه الأحداث - أنه جرت أحداث مشابهة قامت بها جمعية « الإتحاد والترقي » أثناء هجوم الجيش البلغاري على الدولة العثمانية وذلك لإثارة الفوضى وتعميق النقمة على السلطان الذي حاول أن يعقد هدنة مع بلغاريا . ويضيف أنه « لما علم الضباط المهووسون من جماعة الإتحاد والترقي وعلى رأسهم أنور بك بطل الانقلاب في عام ١٩٠٨ دفعوا طلاب الجامعة وسائر المدارس للقيام بمظاهرات صاحبة هاجمت الباب العالي - مقر الصدر الأعظم ووزير الخارجية - وهم ينادون « حرب استرز » أي نريد الحرب<sup>(٤)</sup> .

والوثائق المعاصرة لأحداث عام ١٩٠٨ تؤكد بأن اليهود اشتركوا في الثورة وقاموا بالمظاهرات ضد السلطان في العاصمة العثمانية ووصلوا بها حتى قصر يلدز<sup>(٥)</sup>. وكان هدفهم إيجاد جو ملائم للإطاحة بالسلطان عبد الحميد

(١) *Revue du Monde Musulman*, T. 7, p. 149. (1909).

(٢) انظر : ارنست رامزور ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، انظر أيضاً :

L. Stein ; *Balfour Declaration*, p. 35.

(٣) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ٧٦ .

(٤) خالد العظم : مذكرات خالد العظم ، ج ١ ، ص ٣٨ . شهد خالد العظم هذه الأحداث عندما كان بصحبة والده ووالدته في رحلتها إلى تركيا ، وكان والده آنذاك وزيراً للأوقاف والمساجد .

(٥) انظر الملحق رقم (٦) للزيد من التفصيلات عن الثورة واحداثها انظر مقال :

La Révolution en Turquie في مجلة :

*Revue du Monde Musulman*, T. 5, pp. 718 - 744 (1908).

الثاني وسيطرة الإتحاديين على مقاليد الحكم بمساعدة المحافل الماسونية والدونمة التي هيأت الأجواء الملائمة لمثل هذه التحركات. ويقول « لوثر » - السفير البريطاني في الأستانة - بأنه في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٠٨ مارست الجمعية ضغطاً مكثفاً على السلطان لإجباره على إقصاء الذين اشتروا من النظام القديم من مجلس المبعوثان<sup>(١)</sup>. ويضيف قائلاً: أن عمانويل قارصوه المحامي الماسوني اليهودي من سالانيك، كان قد أسس محفلاً فيها، له صلة بالماسونية الإيطالية، ويبدو أنه قد أقنع جماعة تركيا الفتاة من الضباط والمدنيين بتبني الماسونية على أمل ممارسة نفوذ يهودي غير محسوس على الحكم الجديد في تركيا، رغم أنه ادعى ظاهرياً أنه يهدف إلى خديعة جواسيس عبد الحميد فقط، فقدم لهم محفله ملجأ، وبالتقاءهم في بيت أجنبي تمتعوا بالحصانة الفاتحة ضد أساليب التحقيق، وهكذا أتاح سرية المحافل لجماعة تركيا الفتاة إمكانية تشكيل تنظيمهم للقضاء على نظام حكم السلطان عبد الحميد<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد « مارلنغ » و « لوثر » في رسائلهما إلى « غراي » بتاريخ ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٠٩ « أن وحي الحركة في سالانيك يبدو يهودياً بصفة رئيسية، فكلمات حرية - عدالة - مساواة - شعار الأتراك الإتحاديين - هي ابتكار الماسون الطليان، واللوان الأحمر والأبيض ممتثلان. وهذه الشعارات هي ذاتها شعارات محفل (Macedonia Ristora) وشعارات الجمعية اليهودية « بني برث » (Beni Brith) وهي إحدى فروع الماسونية المتعاونة مع الأليانس الاسرائيلي العالمي<sup>(٣)</sup>. وقد عثرت على مجموعة من شهادات الماسونيه وشعارات جمعية الإتحاد والترقي تثبت أن شعاراتها وتعاليمها هي واحدة كما عثرت على مجموعة من النقود التركية الإتحادية تثبت هذه الحقيقة<sup>(٤)</sup>.

(١) Lowther to Grey, 19 Dec. 1908, No. 45087, in F.O. 371/546.

(٢) Lowther to Grey, 29 May 1910, No. 20761, in F.O. 371/1010.

(٣) انظر: محمد علي الزعبي: الماسونية في العراق، ص ٨٧، ويذكر المؤلف من أن منظمة (Beni Brith) هددت القائد التركي جواد رفعت اتلخان بعد أن كشف بمؤلفاته اختطار الصهيونية ولا سيما كتابه « اسلامي صاران » أي « الخطر المحيط بالاسلام » الذي كشف فيه جهود تلك المنظمة بتأسيس مدارس الأليانس والقضاء على أعداء صهيون...، حول جهود الأليانس مع الإتحاديين في سالانيك أنظر:

A. Chouranqui; *L'Alliance Israélite Universelle*, p. 105.

(٤) أنظر الملحق رقم (١١)، والملحق رقم (١٢).

ويؤكد « لوثر » - ما ذكره « مارلنغ » - في رسالة إلى « غراي » بتاريخ ٢٩ أيار ( مايو ) ١٩١٠ من أن انضمام الكثير من ضباط الجيش وكبار الموظفين إلى المحافل الماسونية يبدو أنها موجّهة وموحى بها من قبل اليهود . وبلغ من خطورة الماسونية المنتشرة في الأوساط التركية ان جعلت مسؤولاً بريطانياً يتخوف من الأفكار الماسونية ذات الصفة الثورية الغامضة والمضطربة<sup>(١)</sup> . ويضيف « لوثر » مؤكداً بأن ثورة الإتحاديين ثورة يهودية أكثر منها تركية بقوله : « ان النائب اليهودي الماسوني قارصوه قد أظهر حماساً بالغاً في تأييد التقدم نحو العاصمة لخلع السلطان ، وأن الفرق الأربع المتجهة إلى العاصمة من سالانيك كان يقودها أحد الدوغمه الماسونيين من سالانيك هو الكولونيل رمزي بيه الذي عين رئيساً لمعاوني السلطان محمد الخامس » . وقد شعر الأتراك بدور اليهود الفعال في هذه الثورة ويقول « لوثر » حول هذا الموضوع « أنه أصبح ملاحظاً أن اليهود من كل الألوان مواطنين وأجانب كانوا مؤيدين ومتحمسين للحكم الجديد ، وقد عبر عن ذلك أحد الأتراك بقوله : ان كل يهودي يبدو جاسوساً ممكناً للجمعية السرية ، وبدأ الناس يعلقون بقولهم ان الحركة كانت ثورة يهودية أكثر منها ثورة تركية . »

ويذكر « أرنست رامزور » عن العلاقة اليهودية الإتحادية ، بأنه يمكن القول بكل تأكيد ان الثورة التركية تقريباً من عمل مؤامرة يهودية ماسونية<sup>(٢)</sup> . ويعترف « رفيق بك » - أحد الشخصيات البارزة لجمعية الإتحاد والترقي - لمحرر جريدة « تايمز » الباريسية في ٢٠ آب ( أغسطس ) ١٩٠٨ من أنه كان للمحافل الماسونية إصبعٌ في ثورة ١٩٠٨ التركية<sup>(٣)</sup> وقال : حقاً اننا وجدنا سنداً معنوياً من الماسونية وخاصة الماسونية الايطالية فالمخفلان الايطاليان (Macedonia Ristora) و (Laboret Lux) قدما لنا خدمة

(١) رسالة مارلنغ إلى غراي ، ١٤ كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩١٠ ، نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ص ١٢٦ . ورامزور من مواليد كاليفورنيا ١٩١٥ ، وحتى عام ١٩٦٠ كان لا يزال من كبار موظفي الخارجية الأميركية ، وقد شغل مناصب هامة في استانبول وبرمن وتورنتو وواشنطن وبيروت . وكان نائباً للقتل في الاميريكي في استانبول ١٩٤٨ - ١٩٥٠ ، وقد اتاحت له الفرصة في تركيا للاجتماع مع عدد من الاشخاص الذين اشتركوا في ثورة ١٩٠٨ .

(٣) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

حقيقية ووفروا لنا الملاجئ فكننا نجتمع لننظم أنفسنا ، كما اننا اخترنا معظم رفقاتنا من هذين الحفلين اللذين ساعدا لجنتنا كعربال نظراً لما كانا يبديانه من دقة في الاستفسار عن الأفراد<sup>(١)</sup> . وقد تبين عملياً من أن تنظيم جمعية الإتحاد والترقي كان على غرار تنظيم « الكاربوناري » (Carbonari) الإيطالية ، وتبين أيضاً ان الحكومة الإيطالية والمحافل الماسونية فيها ساعدا الشبان الأتراك ، لأن إيطاليا كانت تنتظر الفرصة المناسبة للسيطرة على طرابلس الغرب ، خاصة وأنه لم يكن مؤكداً بعد إلى أي مدى تعتمد الحركة الثورية التركية على ما يسمى « الشرق الكبير » (Grand Orient) الميء بالحركات السرية والتنظيمات السياسية التي انتشرت في أوروبا<sup>(٢)</sup> .

وتؤكد الصحف العربية المعاصرة لأحداث الثورة حقيقة العلاقة بين الماسونية والانقلابيين بالقول « قد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة فأسسوا شرقاً عثمانياً استأذنه الأعظم طلعت بك ناظر الخارجية وأركانه من زعماء جمعية الإتحاد والترقي وأنصارها من اليهود ... »<sup>(٣)</sup> . وانتخبوا في هيئة الادارة العليا داويد كوهين ، روفائيل ريحي ، نيقولا فورته ، ماركس أونا ، جاكوب سهامي ، جورج سبرسك ، الذين استغلوا شعارات الجمعية لتحقيق مراميهم الخاصة<sup>(٤)</sup> .

وكانت الصحافة الصهيونية في أوروبا قد أولت أخبار الثورة الإتحادية عام ١٩٠٨ اهتماماً بالغاً ومنها الصحيفة الصهيونية (Neue Freie Presse) التي قامت بنشر أخبار الثورة وتأييدها ، ونشرت تصريحات قادة الإتحاديين أمثال فهمي باشا - سكرتير المفوض الممتاز - الذي ذكر مساوي حكم السلطان عبد الحميد وتحدث عن مساوي الرقابة الشديدة على التقارير المختلفة ، وكانت صحيفة « إقدام » قد ترجمت هذا الموضوع في حينه<sup>(٥)</sup> .

(١) ارنست رامزور ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) J. Haslip ; *op. cit.*, p. 256.

(٣) الشرق ، ايار ( مايو ) ١٩١١ ، العدد ٥ ، ص ٣٨٣ .

(٤) إذا ما رجعنا إلى البروتوكولات الصهيونية - التي يشكك البعض في صحتها - فانها تؤكد حقيقة الأهداف الصهيونية إذ يقول البروتوكول التاسع : من شعاراتنا الماسونية الحرية والعدالة والمساواة ، سنبدلها عندما نقيم مملكتنا إلى كلمات لا تحمل هذا المعنى الشعاري ... وانما يندو معناها الوحيد مجرد الدلالة على صور مثالية . حول هذا الموضوع أنظر :

عجاج فوحض : بروتوكولات حكماء صهيون ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٥) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, p. 730.

وتعتبر هذه الصحيفة التركية من الصحف المؤيدة للسلطان « وقد كان إقدام السبق في المطاعن وتشديد النكير لأنها صحيفة لسان حال المابدين في الدور الماضي<sup>(١)</sup> ولكنها غيرت سياستها بعد الثورة وبعد إعادة الدستور واشتداد المعارضة ، مما حدا بالمتظاهرين الأتراك واليهود التوجه إلى مركز هذه الصحيفة في ٢٥ تموز (يوليه) عام ١٩٠٨ و هتفوا أمامها : « تحيا الحرية ، تحيا الصحافة »<sup>(٢)</sup> .

ويذكر السير وليم رمزي (W. Ramsey) - سياسي بريطاني ورحالة - في مذكراته أثناء الإنقلاب العثماني ١٩٠٨ ان مقالة صدرت في صحيفة (Neue Freie Presse) الألمانية الصهيونية لفتت نظره ، لأن كاتب المقال أصر على أن « أهم ما يجب على الإتحاديين القيام به هو الهجوم حالاً بدون أدنى تأخير على الآستانة ، وأن الحملة السريعة ولو كانت بجيش صغير هي خير من مهاجمة المدينة بجيش جرار بعد حين ، فيكفي أن يكون هذا العدد وإحضاره أمام الآستانة فلا يقل عن الخمسة أيام ... »<sup>(٣)</sup> وهذا مما يدل على حماس الصحيفة الصهيونية بالاسراع في الهجوم على العاصمة وخلع السلطان ، ويدل على تأييدها خطوات جمعية الاتحاد والترقي ، ونظراً للتأييد الذي لمسه الإتحاديون من هذه الصحيفة فقد أرسلوا رسالة إليها باسم « أنثر » عضو الجمعية يخبرها بتبني اقتراحها الزحف إلى القسطنطينية لأن « هذا اليوم هو اليوم الأول للحرية . الشعب بأكمله ... احتفل بهذا العيد ، إذا كان السلطان لا يأبه لمطالبنا سنزحف إلى القسطنطينية »<sup>(٤)</sup> .

وكانت الأوساط الصهيونية قد استألت بعض الصحف التركية وفي مقدمتها صحيفة الإتحاديين « تركيا الفتاة » . ويؤكد « لوثر » هذه الحقيقة في تقريره المرسل من الآستانة إلى وزارة الخارجية البريطانية عام ١٩١٠ بقوله : « ... اني أرفق نسخة من ثلاث مقالات ظهرت مؤخراً في « تركيا الفتاة » وهي صحيفة تنطق بلسان اللجنة وهي مثل صحيفة « فراي برس » .

(١) المباحث ، ١٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٩ ، السنة الأولى ، العدد ١٣ ، ص ٥٦٣ .

(٢) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, pp. 722-723.

(٣) مذكرات السير وليم رمزي في أثناء الانقلاب العثماني ، نقلاً عن : النفائس ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ١٠٥ .

(٤) انظر نص الرسالة كاملاً في الملحق رقم (٧) نقلاً عن :

*Revue du Monde Musulman*, op. cit., p. 718.

(Neue Freie Presse) التي تصدر في فيينا ويمولها ويشرف عليها اليهود<sup>(١)</sup>، ويضيف «لوثر» في رسالتين بتاريخ ٢٩ أيار (مايو) و٢٢ آب (أغسطس) ١٩١٠، إلى أن صحيفة «تركيا الفتاة» كانت تمولها مؤسسة صهيونية تسمى (Anglo-Palestine Trading Corp.)<sup>(٢)</sup>، وتضم في هيئة تحريرها يهوداً وأتراكاً وأرمن وكرتيين وقفقازاً، وعرباً<sup>(٣)</sup>. وكانت هناك صحف أخرى خاضعة للنفوذ الصهيوني مثل صحيفة «عثمانيتشرلويد» التي وقفت مع الثورة وأيدت خلع السلطان، وكان صاحبها ومحرر الأخبار فيها سامو هبشورغ وهو يهودي اشكنازي ماسوني<sup>(٤)</sup>.

هذا ويؤكد «بلش» - القنصل البريطاني في القدس - أن الصهيونيين أبدوا آراءهم على أمل تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في العهد السابق، وأوله إلغاء القوانين السابقة المقيدة للهجرة والتملك<sup>(٥)</sup>. ومن أجل ذلك لم تكتف جمعية الإتحاد والترقي بإعلان المشروطة (الدستور)، بل قررت خلع السلطان عبد الحميد الثاني ومهدت لذلك بنشر عدد من البيانات خلال

(١) ملف وثائق فلسطين، ص ١٥٥، ج ١. وكانت صحيفة «تركيا الفتاة» تصدر بالعربية أولاً في أواخر القرن التاسع عشر، ثم صدرت أيضاً بالفرنسية بعد ان تغير اسمها من (Courrier d'Orient) إلى (Le Jeune Turc)، وعمد الصهيونيون إلى وضع رئاسة تحريرها بيد جلال نوري بك ابن وزير وأحد النافذين الاتراك. وفي منتصف عام ١٩٠٩ تكاثرت الصحف التي تسيطر عليها الصهيونية بعد ان كانت في الأساس اما مؤيدة للصهيونية واما هي يهودية وقأتي في مقدمتها مجلة فرنسية اسبوعية اسمها «الفجر» (L'Aurore) سبق ودافعت عن اليهود بشدة في قضية دريفوس وغيرها من قضايا اليهود، ومجلة اسبوعية اخرى تصدر باليهودية اليديشية (El Judes - Ha Hehudi) (Ladino)، ومجلة اسبوعية تصدر بالعبرية وهي (Ha - Mevasser) وغيرها من الصحف المنتشرة في أوروبا.

(٢) وهي مؤسسة صهيونية مركزها إنجلترا وفتحت فروعاً لها في فلسطين، وعملت على تمويل المستوطنين اليهود والمشاريع الصهيونية.

(٣) رسالة «لوثر» إلى «غراي» في ٢٩ أيار (مايو) و ٢٢ آب (أغسطس) ١٩١٠، نقلًا عن: خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص ٥٠.

(٤) المشرق، ١٩١١ العدد ٨، ص ٦١٨. أنظر أيضاً عن عدد الصحف اليهودية اليديشية في تركيا: Revue du Monde Musulman, T. 3, p. 520, (1907) وأما بالنسبة لصحيفة «تركيا الفتاة» فان صمويل هشبورغ (Samuel Hochberg) اليهودي الألماني كان مديرها الفعلي بينما كان جلال نوري محررها الاسمي، وصمويل هذا كان استاذاً في مدارس الألبانس الاسرائيلية في الشرق، وعرف عن كذب الأوضاع فيه بعد ان قضى مدة عشرين عاماً، وكعادة اليهود فقد غيّر اسمه إلى اسم اسلامي، ودعا نفسه «سامي».

(٥) Blsch to Lowther, 29 Oct. 1908, No. 55, in F.O. 195/2287.

عام ١٩٠٨ تحرض الجنود العثمانيين على الثورة وخلع السلطان ، وتذكر مجلة « سر كيس » ١٩٠٨ بأن البوليس التركي نزع هذه البيانات في الحال وأحكم المراقبة على البلاد ، وتضيف قائلة ، بأنه جاء في البيانات المنشورة : « أيها الجيش العثماني ان حكومة في عاصمة المملكة قد خرقت حرمة القانون وخانت اليمين التي أقسمتها للشعب ، فقتلت الشريعة وخنقت الحق ، وللآن أسواق المدينة [مليئة] بالدماء ، ثم قيدت البلاد بقيود من حديد وخانت الخلافة ... انتهبوا إلى واجباتكم ، واجبات الجيش العثماني ، إحموا بلادكم ، ليندفع لسان الثورة ، حرزوا الشعب ، أنقذوا البلاد ... » (١)

واستمرت مثل هذه البيانات تسود العاصمة تندد بحكم السلطان العثماني يدعمها النفوذ العسكري الإتحادي الذي أصبح مسيطراً على جهاز الحكومة إلى أن ساد التوتر في الأستانة في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ لاسيما بعد حركة المعارضة لجمعية الإتحاد والترقي . وقد ذكرت صحيفة مؤيدة للإتحاديين بأن المعارضين ومؤيدي السلطان « كانت عملهم في العاصمة متجهاً صوب مجلس المبعوثان إذ نسوا للجند أن يحصروا أعضاء فيه وأوغزوا صدورهم عليهم ، فجاؤوا ألوفاً وفتكوا ببعض كبار الدستوريين فأدمت فعالهم قلوب الناس ووقعت على السوريين خصوصاً موقعاً أبكى العيون وشق القلوب لأنهم خسروا رجلاً يجمع إلى حماسة الشباب حكمة الشيوخ أريد به المأسوف عليه كثيراً المرحوم الأمير محمد أرسلان . قتله في أبان عمله الدستوري نائباً عن لواء اللاذقية » (٢) .

ويذكر « يوسف الحكيم » - وهو معاصر لهذه الأحداث - بأنه قد قيل آنئذ أن قاتليه ظنوه حسين جاهد بك الركن الإتحادي المعروف ورئيس تحرير جريدة « طنين » لسان حال الإتحاديين نظراً لقوة الشبه بينهما (٣) . ومن ناحية أخرى فقد ازداد توتر الحالة بعد اغتيال الصحفي « حسن فهمي »

(١) مجلة سر كيس ، أيلول ( سبتمبر ) ١٩٠٨ ، ج ١٠ ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) المباحث ، ١٥ أيار ( مايو ) ١٩٠٩ ، العدد ١١ ، ص ٥١٦ . انظر ايضاً :

النفائس ، ١٥ نيسان ( ابريل ) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ٩٩ من مقال : فتنة ١٣ نيسان .  
(٣) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص ١٦٧ . ويمكن القول بأن حسين جاهد بك كان من أصل يهودي - دوتمة - ومن العناصر الفعالة في المحفل الماسوني المؤيد للإتحاديين ، وكان ذلك من الأسباب المباشرة لمحاولة اغتياله . إلا أن جواد رفعت اتلخان في كتابه « الخطر المحيط بالاسلام » ص ١٣٧ ، يتهم اليهود بأنهم هم الذين أوجدوا هذه الاضطرابات تمهيداً لخلع السلطان .

صاحب جريدة « سربستي » على يد الإتحاديين وهذا ما أكدته « المجلة المصرية » بقولها : « تمادت لجنة الإتحاد والترقي في تداخلها في شؤون الحكومة حتى استأثرت بالسلطة في كل فروعها . ولما استأثرت بها لم تكنف بالنضال عنها بل لجأت إلى وسائل الأرهاق حتى أفضت تلك الوسائل إلى ما عزي إليها من مقتل المرحوم فقيد الحرية والصحافة حسن فهمي »<sup>(١)</sup> . فتجمهر جمع غفير من فئات الشعب والجنود الألبانيين مع بعض الطلاب في الشوارع الرئيسية للعاصمة وبدأوا يرددون « الشريعة في خطر » و « نريد حكم الشريعة » . وهؤلاء من الذين امتعضوا من حدوث الثورة على السلطان ، فلم يشترك واحد منهم في هتاف للإتحاديين أو امتداح العهد الجديد ، بل أنهم ألفوا جمعيات مناهضة لجمعية الإتحاد والترقي لا شيء إلا لأنها تضم بينها خليطاً لادينيّاً من أتراك ويهود دونة وروم<sup>(٢)</sup> . ومن هذه الجمعيات « جمعية الأحرار » وبرنامجها الاحتفاظ بالدستور وترك السلطة الفعلية للحكومة والنواب وطالما تصدّت لجمعية الإتحاد والترقي لإجبارها أن تقف عند حد من توسع نفوذها ، وكانت هناك أيضاً « الجمعية المحمدية » برئاسة مراد بك الداغستاني وقوامها العلماء والعامة<sup>(٣)</sup> .

والواقع أن أسباب نشأة مثل هذه الجمعيات لا تعود إلى الأسباب المذكورة سابقاً فحسب ، وإنما بسبب إقدام الإتحاديين على زعزعة كيان الدين الذي كان لا يزال كثيراً من الناس يرون فيه سبب عزبتهم وكرامتهم ، كما أن الإتحاديين بطشوا رجال الدين وأدخلوهم إلى السجون ، وكان ذلك بداية لإشعال نار الفتنة الداخلية ، بينما لم يتلق هؤلاء العلماء مطلقاً أية ضربة أثناء تعاملهم مع « المدافع عن العقيدة » السلطان الخليفة<sup>(٤)</sup> . وربما كانت هذه المظاهر من الأسباب التي دعت بعض العرب إلى تأييد السلطان لا سيما بعد أن تأكد لهم أن الثورة انطلقت من بلاد مقدونيا وبوحي من

(١) المجلة المصرية ، ٢٥ نيسان ( ابريل ) ١٩٠٩ ، العدد ١٦ ، ص ٥٦ . والمعروف عن « حسن فهمي » انه كان ضد سياسة الإتحاديين يؤيده في ذلك عدد كبير من الشعب . وللدلالة على ذلك انه عندما شيعت جنازته - قبل الثورة المضادة - بلغ عدد المشتركين فيها أكثر من ثلاثين ألفاً ، وقيل يومذاك بأن الاستانة بأجمعها قامت بتشييع الجثمان وظهرت سخطها على الجناة .

(٢) يوسف الحكيم ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) المجلة المصرية ، المصدر السابق .

(٤) S. Mardin; *The Genesis of Young Ottoman Thought*, p. 408. (٤)

اليهود . ويؤكد « لوثر » أن العرب وفرق الألبان الموالية للسلطان قاومت المقدونيين آنذاك<sup>(١)</sup> . ولكن مثل هذه المقاومة لم تؤثر كثيراً في مجريات الأمور العسكرية والسياسية ، فقد عقد الإتحاديون جلسة سرية قرروا فيها خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، وطلب من قادة الجمعية ضرورة الاتصال بالعناصر اليهودية لحضور هذه الجلسات والاتفاق على الخطوات اللازمة ، فأرسلت برقية في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ م - ١٣٢٧ هـ إلى المركز العام لجمعية الإتحاد والترقي تطلب من الأعضاء اليهود الحضور إلى « خادم كوي » لعقد جلساتهم<sup>(٢)</sup> . وبالفعل فقد اتجه الأعضاء اليهود إلى « خادم كوي » واجتمعوا هناك ، وبعد التخوف من إمكانية اكتشاف اجتماعاتهم انتقلوا إلى ضاحية من ضواحي استانبول هي « أيا ستفانوس » وعقدوا فيها مؤتمرهم الذي قرروا فيه خلع السلطان عبد الحميد .

ويذكر أنه في ١٣ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ وقعت ثورة مضادة في استانبول للقضاء على الثورة الأولى وقامت حامية الأستانة وأركان السراي وفئات شعبية تطالب بمطالب عديدة منها عزل القوى الماسونية والدوغة ، وقد لخصوا مطالبهم بما يلي :

- ١ - إحياء الشريعة .
- ٢ - عزل الصدر الأعظم وناظري البحرية والبحرية .
- ٣ - طرد أحمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت بك واسماعيل حقي بك ... من المجلس<sup>(٣)</sup> .

ولكن الجيش في مقدونيا كان على استعداد للعمل فزحف إلى العاصمة وضرب الحصار على قصر السلطان ، ودخل الجيش وانقض على حصون

(١) Lowther to Grey, 12 April 1909, No. 13671, in F.O. 371/769. من مقال نشر في « التايمز » بتاريخ ٧ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، مرفقة برسالة « لوثر » إلى « غراي » .

(٢) انظر : النص الأصلي للبرقية بالتركية مع صورة لها في الملحق رقم (٨) ، أما ترجمتها العربية فهي :

« الرجاء ابلاغ البكوات حسين جاهد وجاويد ورحمي وقرصوه افندي الذي علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين بضرورة القدوم إلى خادم كوي في أول قطار » .

القائمقام	القائمقام	اميرالاي ارکان حرب
جمال	صلاح الدين	حسن عزت

(٣) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٤١٠ ، ٤١١ .

الاستانة حصناً بعد آخر فامتلكها عنوة أو تسليماً حتى انتهى إلى « يلديز » بقيادة « محمود شوكت باشا » الذي قال فيه رجال السياسة الأوروبية أنه قادر على تمثيل دور نابوليون في البلقان (١) .

ويبدو أن الحالة كانت سيئة في الدولة العثمانية عامة والاستانة خاصة خلال هذه الأحداث ، واعترف بعض الدبلوماسيين الأجانب بأن الفوضى التي سادت أحداث ١٣ نيسان (ابريل) أظهرت عجز الجمعية في السيطرة على الموقف وحفظ القانون والنظام (٢) . ويذكر « لوثر » أسباب هذه الثورة المضادة فيقول : ان أحداث الثورة المضادة التي قامت في الاستانة ضد جمعية الإتحاد والترقي في ١٣ نيسان (ابريل) ١٩٠٩ ، لم تتضح بعد إلى حد كاف ، إلا أنها لم تغب عن الإشارة بأنها موجبة جزئياً ضد الأعضاء اليهود والماسون في الجمعية . بينما يذكر القائد التركي جواد رفعت أتلخان معلومات خطيرة عن ملبسات الثورة المضادة تناقض ما ورد في تقرير « لوثر » والتقارير الأخرى ، فيؤكد بأن اليهود هم الذين خلقوا حادث التمرد هذا حتى يصلوا إلى خلع السلطان . ويضيف بأن معظم وثائق الحادث ومضابط المحاكم العسكرية الخاصة بذلك الحادث محفوظة لدى « مدحت شكري » أحد رؤساء الإتحاد والترقي (٣) . ويضيف أيضاً ، بأن اليهود ودهماء الإتحاد والترقي قاموا بقتل المواطنين في الشوارع وبالاستهزاء برجال الدين وبنهب القصور وسلبها . كما أن ستين ألفاً من أتراك أناضوليا كانوا هدفاً لأشقياء مقدونيا في أحداث الثورة (٤) .

ويؤكد « زاهد باشا الهبل » - أحد باشوات الدولة العثمانية في دمشق - أن السلطان عبد الحميد عندما علم بعصيان جيش سالانيك وتقدمه نحو العاصمة ، لم يأمر جنده بالمقاومة ، ولكن أمر القوى في القصر استأذن السلطان لضرب العصاة والمقاومة فمنعه ، ثم عاوده القول يريد إذنه بالدفاع

(١) المباحث ، ١٥ أيار (مايو) ١٩٠٩ ، العدد ١١ ، ص ٥١٦ ، ٥١٧ . انظر أيضاً :  
النفائس ، ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ١٠٢ ، المجلة المصرية ، ٢٥ نيسان  
(ابريل) ١٩٠٩ ، العدد ١٦ ، ص ٥٧ .

(٢) Lamb to Lowther, 12 May 1909, in F.O. 195/2323.

انظر أيضاً : Lamb to Lowther, 21 April 1909, in F.O. 195/2328.

(٣) جواد رفعت أتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٣٧ .

(٤) جواد رفعت أتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٧٢ .

فقال له ولقوى القصر : أعرف جيداً أن كل ما يرومون هو خلعي أو قتلي وأنا شخص واحد ، فإذا أمرتكم بالمقاومة سقط القتلى منكم ومنهم ، وأنتم جميعاً أفراد من هذه الأمة ، والأمة ستحتاج إليكم فيما ينزل بها من شدائد (١) .

ويبرز دور اليهود مرة ثانية في حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ، ثم أوفدوا يوم الثلاثاء ٢٤ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩ - ٧ ربيع الآخر ١٣٢٧ هـ - هيئة مكونة من عارف حكمت باشا رئيس الوفد ، وعضوية كل من أسعد طوتباني باشا وغالب باشا وآرام أفندي الأرمني ومن زعماء اليهود الماسونيين قارصوه ، ووصلوا إلى يلدرز لإبلاغ السلطان نبأ الخلع . وكانت مشاعر التأثر والأسى بادية عليه فقال بغضب : طيب ... فأشار إلى قارصوه وقال : ما هو عمل هذا اليهودي في مقام الخلافة . وصدق بغضب إلى قارصوه وتابع كلامه : بأي قصد جئتم بهذا الرجل أمامي ... وبدلاً عن الجواب ساد الارتباك الجماعة وبالأخص اليهودي ، وعلاوة على ذلك استولى عليه الخوف ... فلم يجد في نفسه قدرة للجواب (٢) . ومما زاد في حسرة السلطان أنه سبق ان طرده من مجلسه في قصر يلدرز حينما حاول التأثير عليه لإسكان اليهود بفلسطين (٣) . وخاصة أن قارصوه هذا اعتقل بتهمة التجسس في قصر يلدرز على أبواب ثورة ١٩٠٨ وسبق إلى السجن إلى ان عفا عنه السلطان .

ويذكر الأميرالاي « حسام الدين أرتورك » - رئيس شعبة م. م. في حرب الاستقلال ورئيس قلم المخابرات في الأمبراطورية العثمانية - أن زميله النقيب « ديبيري » أوضح له بأنه كان مكلفاً بحراسة السلطان عبد الحميد الخلوغ عن العرش ، فذكر له السلطان - وقد عصره الألم - أن الشيء الذي آلمه

(١) سعيد الأفغاني : كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضة المملكة العثمانية ، نقل عن : مجلة العربي ، كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٧٢ ، العدد ١٦٩ ، ص ١٥٤ .

(٢) جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالاسلام ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ . وتذكر « المشرق » ، آب ( اغسطس ) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ ، حول دور اليهود في حادثة الخلع انه كان من جملة الساعين بالأمر رئيس محفل الماسونيين في سلافيك وهو يهودي ، ومعه أحد المسلمين اليهود أيضاً .

(٣) صالح بويصير : جهاد شعب فلسطين ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

أكثر من غيره هو أن يبلغ إليه اليهودي قارصوه خادم الماسونيين قرار الخلع . وأنت السلطان لا ينسى مطلقاً «عمانوئيل قارصوه» وهو في سراي يلدز ، إذ وجد في حضوره إهانة لمقام الخلافة<sup>(١)</sup> . ويضيف النقيب «ديبريلي» بأن السلطان عبدالمحميد الثاني حدثه عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس الحاخامين في تركيا حيث طلبا إنشاء وطن قومي لليهود وأشارا إلى القدس وقال هرتزل له : «أعرض على مقام سلطاننا اننا رهن الإشارة لتقديم ما تقدرونه من أي مبلغ من الذهب لأجل القدس .» فقال السلطان للنقيب «ديبريلي» : أنه عندما سمع هذا العرض غضب «وعلى الدم في عروقي» إذ تصور يسيادة النقيب أن هذين اليهوديين مثلاً أمامي ليقدموا إلى سلطنتنا رشوة . صرخت في وجهيهما قائلاً : أن أخرجنا من هنا ، ان الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر — الذين اندفعوا حيث كنا — أن يقودوهما حالاً إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائي ، فما ألقاه الآن هنا في سلانك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائي منهم حيث لم أرض أن أقطع لهم أرضاً لدولتهم المزعومة<sup>(٢)</sup> .

ومن الأهمية بمكان القول ، أن الاتحاديين حرصوا على سجن السلطان في سلانك لأنه المركز اليهودي — الدونمي الماسوني — الإتحادي — الدولي — حيث نقل إلى هناك وكان يرافقه بعض حريمه وحاشية صغيرة في ٢٧ نيسان (ابريل) عام ١٩٠٩<sup>(٣)</sup> ، وسجن في قبلا «ألأيني» (Alatini) وهي تخص أحد أصحاب البنوك اليهود الأغنياء في جمعية الإتحاد والترقي . ووضع شقيق «رمزي» بيه<sup>(٤)</sup> ، الماسوني حارساً عليه ، وأنه بعد الخلع هلت الصحف اليهودية في سلانك للتخلص من «مضطهد اسرائيل» على حد قول لوثر في رسالته إلى غراي بتاريخ ٢٩ أيار (مايو) ١٩١٠ .

هذا ، وقد تولى جاويد بك في قبلا «ألأيني» — باسم الحكومة التركية —

(١) جواد رفعت اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٥٤ .

(٢) جواد رفعت اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٣) نقل السلطان الى سلانك مع ثلاثة من نسائه وأولاده عبد الرحيم ومحمد سليم وعابد وبناته شادية وعائشة ورافعة .

(٤) رمزي بيه : كولونيل من الدونمة الماسونيين في سلانك ، وهو الذي عين رئيساً لمعاوني السلطان محمد رشاد — الخامس — وكان له دور بارز في ثورة ١٩٠٨ وقرار الخلع في ١٩٠٩ .

كل الأمور المتعلقة بالسلطان الذي وقف يتذكر الأيام الماضية ، والذي سمع من جاويد بعض الكلمات وتهانيه لحراسه الذين رقوا خلال مهلة قصيرة إلى مراكز أكثر أهمية . واكتشف السلطان أنه خدع من قبل تركيا الفتاة التي لم تفكر بإعطائه حريته ، بل خططت لوضع حراسة مشددة أكثر مما كانت عليه في السابق<sup>(١)</sup> . والمعالم أن السلطان لم يعامل معاملة حسنة كما سبق ان وعد عند إصدار فتوى الخلع ، بل مورست بحقه بعض الأمور التي اعتبرها السلطان محجفة ، بينما اعتبر الاتحاديون بأن هذه المعاملة السيئة يجب أن تطبق بحق عدو الإتحاد والترقي . وبلغ التضيق بحق السلطان - بعد أن نقل إلى قصر بلكربكي - أن منع عنه الزوار ، كما عمد الاتحاديون في كل مساء إلى تغيير كلمة السر التي لا يجوز لسوى عارفيها دخول القصر والخروج منه<sup>(٢)</sup> .

والواقع أنه كما حدثت حركة معارضة ضد الاتحاديين بعد ثورتهم في عام ١٩٠٨ ، فانه جرت معارضة ماثلة ضدهم بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني لا سيما في المناطق العربية والإسلامية أيضاً ومنها ألبانيا وقد أوردت الخبر صحيفة « نهضة العرب » نقلاً عن صحيفة « غازيت دي فرانكفورت » التي قالت : « بأن الهياج في ألبانيا على أشده بين مسلميها منذ بضعة أيام . ويتساءلون ... ما الذي دعا إلى كل هذه الحركة ويطلبون معرفة الأسباب الشرعية التي خولت قتيان الترك خلع السلطان عبد الحميد . [ وهم ] غير راضين عن عمل شوكت باشا والجيش المقدوني ويخشى أن يكون تصرف أصحاب الإتحاد والترقي تمهيداً لنكبة في الإسلام ، إذ أن الذين قاتلوا المسلمين عقيب حركة الاستانة لم يكونوا من المسلمين »<sup>(٣)</sup> .

ونتيجة لتردي الأوضاع في بعض المناطق العثمانية المؤيدة للسلطان العثماني خشيت الحكومة الإتحادية من انتشار حركة المعارضة إلى مناطق أخرى ، فأرسل شوكت باشا برقية إلى جمعيات سلانيك والجمعية السلمية ، يوعز فيها ان ينصحوا المسلمين بالخضوع لأوامر الحكومة الدستورية ولا يظهروا أدنى اعتراض على جلوس السلطان محمد الخامس .

(١) J. Haslip; *op. cit.*, p. 291.

(٢) انظر الملحق رقم (١٠) .

(٣) نهضة العرب ، ١٤ أيار ( مايو ) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٣ .

ويمكن استخلاص بعض الأمور من حركة المعارضة ضد الاتحاديين في أحداث ١٩٠٨ وخاصة حركة الألبانيين من أن هذه الجماعة - بغض النظر عن تأييدها للسلطان - كانت على دراية ووعي بأهداف الانقلاب الاتحادي وخلع السلطان ، لا سيما وان معارضتهم كانت تابعة « من أن الذين قاتلوا المسلمين ... لم يكونوا من المسلمين » . والمقصود بهم هنا اليهود والدونمة . ومن جهة أخرى فان المعارضة لم تقتصر على الألبان فحسب ، وإنما تعدتها إلى بعض المناطق العربية ، فقد حدث في اللاذقية بسوريا حركة معارضة مماثلة ويتجلى ذلك في أن أحد المدرسين نقل خبر خلع السلطان مشفوعاً باهاتته له وتعظيم جمعية الاتحاد والترقي ، فنقل الطلاب الخبر إلى ذويهم فتجمع الأهالي وساروا إلى منزل المدرس يريدون إلقاء القبض عليه ، ففر إلى منزل رجل فرنسي ، فلحقوا به إلى هناك وطلبوا أن يُسلم إليهم بإلحاح وتهديد ، إلا أنه تمكن من الهرب والنزول في قارب نقله إلى باخرة فرنسية ، وظلت الأفكار هاجمة على جمعية الإتحاد والترقي والنقمة على أصحابها شديداً<sup>(١)</sup> . وبالرغم من أن الاحتفالات أقيمت في بعض أنحاء فلسطين للهولة الأولى تأييداً لمحمد الخامس ، إلا أن « بلش » (Blesh) - القنصل البريطاني في القدس - يصرح بأن أبناء عزل السلطان السابق لم تقابل بحماس من قبل عامة الشعب<sup>(٢)</sup> .

والجدير بالذكر أن بعض كبار زعماء المسيحيين السياسيين والروحانيين في لبنان لم يرحبوا كثيراً بعزل السلطان عبد الحميد الثاني ، بل أن البطريرك الماروني « الياس الحويك » أوضح قائلاً : لقد عاش لبنان ، وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، ولا نعرف ماذا نتجى لنا الأيام من بعده<sup>(٣)</sup> .

ويذكر السلطان « عبد الحميد الثاني » في مذكراته حول مفاوضات الصهيونية لامتلاك فلسطين فيقول : بأن يهود العالم تعاونوا مع المحافظ الماسونية ، وطلبوا مساعدتهم وإسكانهم في فلسطين ، وقد عرضوا عليّ أموالاً ولكنني لم أقبلها ورفضت ذلك المشروع<sup>(٤)</sup> . ويضيف قوله : « إن زعيم

(١) نهضة العرب ، ١٤ أيار ( مايو ) ١٩٠٩ ، العدد ٦ ، ص ٣ .

(٢) انظر : Blesh to Lowther, 29 April 1909, No. 35, in F.O. 195/2321.

(٣) أوراق لبنانية ( مجلة وثائقية ) ، آب ( اغسطس ) ١٩٥٦ ، ج ٨ ، ص ٣٧٩ .

(٤) Sultan Abdul-Hamit, in: *Halira Defteri* (٤)

الصهيونية هرتزل لم يستطع إقناعي بأفكاره بإنشاء مزارع لليهود لأنني أعرف أنهم سيقومون حكماً ذاتياً، وبذلك تكون المسألة اليهودية (Yahudi Meselesi) قد انتهت. وربما كان هرتزل على حق بالنسبة لشعبه فإنه يريد أرضاً لهم، ولكن نسي أن الذكاء وحده ليس كافياً<sup>(١)</sup>. كما يؤكد السلطان عبد الحميد بأنه منذ نشأة الحركة الصهيونية بدأ يعارض مخططاتها لأنه عرف مقاصدها وقال: «إن الصهيونية لا تريد أراض زراعية في فلسطين لممارسة الزراعة فحسب، ولكنها تريد أن تقيم حكومة ويصبح لها ممثلون في الخارج... وإني أعرض هذه السفالة (Saffik) لأنهم يظنونني أنني لا أعرف نواياهم، وليعلموا أن كل فرد في أمبراطوريتنا، كم يكن لليهود من الكراهية طالما هذه نواياهم، وأن الباب العالي ينظر إليهم مثل هذه النظرة، وإني أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين لأنني لا زلت أكبر أعدائهم»<sup>(٢)</sup>. ويرى «فامبري» (Vambery) - المقرَّب من السلطان - أن المشكلة الأولى التي واجهت الصهيونية وأهدافها هي الإتجاهات الحكومية، وهي نفس المشكلة التي واجهها هرتزل زعيم الصهيونية<sup>(٣)</sup>.

وتبرز في هذا الصدد وثيقة في غاية من الأهمية وهي الرسالة التي أرسلها السلطان «عبد الحميد الثاني» إلى الشيخ «محمود أبو الشامات» في دمشق<sup>(٤)</sup>، وشرح له فيها أسباب ثورة عام ١٩٠٨ وأسباب خلعها في عام

(١) Sultan Abdül-Hamit; *Siyasi Hâtirâtım*, p. 60.

(٢) Sultan Abdül-Hamit; *Ibid.* p. 61.

انظر أيضاً: الملحق رقم (٢) والملحق رقم (٣).

(٣) بالروسية. *The Jewish Encyclopedia*, vol 1, p. 74.

(٤) انظر نص الرسالة بالتركية والعربية في الملحق (٩)، وهذه الوثيقة موجودة لدى أسرة أبي الشامات في دمشق. وكان السلطان عبد الحميد قد أرسلها في عام ١٣٢٩ هجرية إلى شيخه محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية الإشرطية في دمشق وهو أول خليفة لصاحب الطريقة الشيخ علي الإشرطي الحسيني المتوفي عام ١٨٩٩ والذي كان يقيم في عكا ولا تزال زارية الشاذلية موجودة فيها حتى اليوم. وقد وصلت هذه الرسالة إلى الشيخ محمود أبو الشامات عن طريق أحد القربين من السلطان ومن مريدي الطريقة. والواقع أن هذه الوثيقة ظلت محفوظة حتى فترة قريبة لدى ورثة الشيخ أبو الشامات إلى أن ترجمها إلى العربية مدير عام الاوقاف السوري السابق الشيخ أحمد القاسمي الذي كان يتقن اللغتين التركية والعربية اتقاناً بالتمام. أما بالنسبة إلى صحة هذه الوثيقة فقد ثبت صحتها بالمقارنة مع الأحداث المعاصرة والتقارير الاجنبية التي أسهبت في التحدث عن علاقة السلطان عبد الحميد بالانجليز، وأهم ذلك كله أنه ثبت لدي - بعد الاستعانة بخبير خط - أن هذه الرسالة مكتوبة بخط =

١٩٠٩ ، وأكد له بأنه لم يتخلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما « سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة باسم «جون تورك» وتهديدهم - اضطررت على ترك الخلافة ». ويستطرد في رسالته قائلاً: « إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين - ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعي: « إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن ١٥٠ مليون ليرة انكليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي... وبعد جوازي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيعدوني إلى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف » .

ومن جهة أخرى ، فإن مجموعة الصحف العربية المعاصرة تؤكد العلاقة بين الصهيونية واليهود من جهة وبين الماسونيين والاتحاديين من جهة ثانية ، فذكرت « المشرق » أنه من المقرر الثابت الذي لا يمكن اليوم لعاقلي أن ينكره لكثرة الدلائل على صحته ان العامل الكبير في إدارة الماسونية وجمع كلمتها إنما هو العنصر اليهودي ، فإن الموسويين بما في أيديهم من الأموال الطائلة ولانتشارهم في كل أنحاء المعمور... أقدر من سواهم على ضبط دقة الماسونية وتدبير أمورها . وتضيف الصحيفة قولها : إنه بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني تخلقت جمعية الاتحاد والترقي بأخلاق الماسونية واليهودية ولبست ثوبها ، وإنه لما خمدت ثورة نيسان (ابريل) ١٩٠٩ نالت العناصر اليهودية أهمية أكبر ، فجاويد بك عين وزيراً للعالية وطلعت بك وزيراً للداخلية ، وجاهد بك - محرر طنين - مستشاراً لجاويد بك ، وكل

= يده - أو على الأقل بخط كاتبه - بعد مقارنتها بمجموعة من كتاباته وفي مقدمتها مذكراته الموجود قسم منها بخط يده في حوزتي ، وكانت د. خيرية قاسمية قد أبدت شكوكها في صحة هذه الوثيقة . ومن ناحية أخرى فقد تأكد لي بما لا يدعو مجالاً للشك بأن السلطان كان بالفعل من المنتسبين إلى الطريقة الشاذلية بواسطة الشيخ محمود ابو الشامات الذي سبق له ان سافر إلى القسطنطينية ، وهناك اجتمع بعلي رضا باشا ، وعرفه إلى الطريقة وبواسطته انتسب إليها السلطان مع كبار وزرائه وموظفيه ، وهذا ما تؤكدته السيدة فاطمة البشروطية الحسينية - ابنة صاحب الطريقة الشيخ علي البشروطي - في كتابها مواهب الحق ، ص ١٣ ، ٣٧ . وفي مقابلة خاصة أجريتها معها شخصياً في بيروت بتاريخ ٤ أيار (مايو) ١٩٧٥ .

هؤلاء ماسونيون وأولهم من سلالة يهودية<sup>(١)</sup> .

وفي عام ١٩٠٩ رحبت بعض الصحف العربية ومنها « العصر الجديد » بتعيين جاويد بك وزيراً للمالية وأوضحت أنها تبشر وزارة المالية بناظرها الذي عُرف بالدراية الواسعة « فهو أحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي العثماني ومن الاقتصاديين المشهورين ، ولا يزال صوت خطابه - الذي رقص له مجلس الأمة بشأن القرض المالي ثلاث ساعات - يرن صدها في الأندية المالية ، وكفى بأن المسيو لوران الفرنسي مستشار المالية العثمانية ، قال عنه : إن الرجل المالي الاقتصادي الحقيقي الوحيد في المملكة العثمانية إنما هو جاويد بك مبعوث سلانيك ... »<sup>(٢)</sup> . ومن المعروف أن جاويد بك كان قد اتفق مع رفاقه الاتحاديين على تدبير أموال يهودية مقابل تسهيل الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين ، ويؤكد « لوثر » هذه الحقيقة في رسالته إلى « غراي » (Grey) في ٣١ آب ( أغسطس ) ١٩١٠ ، من أن الصفقة المالية التي عقدها جاويد بك مع البيوتات المالية اليهودية في باريس لها علاقة بمشاريع الهجرة لاسيا وأن جاويد بك يهودي ويعمل منذ سنوات في خدمة القضية الصهيونية<sup>(٣)</sup> . وامتد نشاط جاويد بك - وزير المالية - بعد تغيير نظام الحكم في تركيا بعد ١٣ نيسان ( ابريل ) عام ١٩٠٩ - إلى خارج الدولة العثمانية وخارج أوروبا لتصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وتذكر صحيفة « العصر الجديد » إنه اقترح على جمعية « الاتحاد الاسرائيلية » (L'Alliance Israélite) الموجودة في نيويورك أن تؤسس في المدن الأميركية الكبرى شركات لشراء الأراضي في فلسطين بهدف إستعمارها ، وان رأي هذه الجمعية متفق مع جاويد بك فهي لا تستصوب الرأي القائل بوجود استعمار الاسرائيليين بلاد ما بين النهرين

(١) لويس شيخو : السر المصون في شيعة الفرمايون . نقلًا عن : المشرق ، آب ( اغسطس )

١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٧ ، ٦١٨ .

(٢) العصر الجديد ، ٨ تموز ( يولييه ) ١٩٠٩ ، العدد ٣٧ ، ص ١ ،

(٣) استطاع جاويد بك بالاتفاق مع الحركة الصهيونية والبنوك اليهودية ان يعقد عدة صفقات مالية لحساب العهد الاتحادي لممارسة ضغوط اقتصادية لها علاقة وثيقة بتحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين . وقد استطاع بالفعل ان يحقق صفقة قدرت بستة ملايين ليرة عثمانية عقدها في باريس مع بيوتات مالية يهودية وهي : كريدي موييليه ، وبرنارد ودريفوس وجاريسلوسكي واستغل جاويد منصبه كوزير للمالية فبدأ بعقد صفقات البيع والشراء مع الشركات الاجنبية لتحقيق الأرباح والسمرات .

—العراق — ولا ضواحي طرابلس الغرب، بل تفضل استعمارهم لفلسطين<sup>(١)</sup>. وفي العهد الاتحادي ظهرت صحف عربية لم تكن مؤيدة للعهد الجديد فحسب، وإنما أيدت أيضاً الحركة الصهيونية وهاجمت الصحف المناوئة للهجرة أمثال صحيفتي «الكرمل» و«الأصمعي» وغيرهما<sup>(٢)</sup>. مما يدل على تزايد النفوذ الصهيوني لاسيما بعد تعيين «محمد رشاد» الملقب بمحمد الخامس سلطاناً خلفاً للسلطان عبد الحميد، وكان أداة طيعة بيد الإتحاديين الذين أصبحوا المسيطرين على جهاز الحكومة ومقدرات الدولة. وإذا فشلت محاولات المنظمة الصهيونية مع السلطان عبد الحميد إلا أنها واصلت مساعيها مع جمعية الاتحاد والترقي، وتمكنت من تحقيق قسط من النجاح بفضل المساعي التي بذلتها عناصر في الحكم من اليهود والدونمة الذين تستروا بالإسلام ولعبوا دوراً بارزاً في الثورة على حكم السلطان عبد الحميد<sup>(٣)</sup>. وذلك ليتسنى لهم تحقيق الفكرة الصهيونية بالاتفاق مع يهود أوروبا، إذ أن يهود ودونمة تركيا كانت علاقاتهم مع يهود أوروبا متينة وسهلة بسبب انتشار مبادئ الحركة الصهيونية. ويعتقد الأتراك أن الغرض من الجامعة

(١) العصر الجديد، ٨ تموز (يوليه) ١٩٠٩، العدد ٣٧، ص ٨.  
(٢) ظهرت في العهد الاتحادي وقبله أيضاً - كما سبق وذكرنا في الفصل الرابع، ص ٢٣٩ - عدد من الصحف المؤيدة والمعارضة للحركة الصهيونية. فمن الصحف المؤيدة لها «النصير» و«لسان الحال» في بيروت، و«المقتطف» في مصر مع عدد آخر من الصحف المصرية التي كان يسيطر عليها اليهود. وفي فلسطين ظهرت صحف معارضة للحركة الصهيونية يأتي في مقدمتها: «الأصمعي» و«القدس» و«الكرمل» وذلك بعد اعلان الدستور في عام ١٩٠٨، كما ظهرت صحف مؤيدة للحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين مثل: «جراب الكردي» و«العصا لمن عصى» و«التغير العثماني» التي أسسها ايليا زكا بمسند انفصاله عن نجيب نصار، وبواسطتها هاجم صحيفة «الكرمل» وصاحبها نجيب نصار. وكان نجيب جانا صاحب صحيفة «العصا لمن عصى» قد هاجم الحركة الوطنية الفلسطينية بأسلوب ساخر، ومن بين الذين هاجمهم سليمان التاجي الرملاوي المعارض للهجرة اليهودية وصاحب مقال: الصهيونيون وفلسطين، المنشور في صحيفة «المفيد». كما هاجمت «العصا لمن عصى» أيضاً نجيب نصار وصحيفة «الكرمل» لأنه كان يقف ضد الهجرة اليهودية وتساءلت ما هو الضرر من الصهيونيين؟ فأجابت بسخرية «ان ضررهم كبير أولاً: كان في يافه سواقي رمل لا تثبت سوا [ي] الخلفاء فأصاروها كروماً نصيرة زادت في ثروة البلاد. ثانياً: اجبرونا على استبدال المخابرات التي كنا نستعملها من عهد نوح بهجارت جديدة زادت الأرض خصباً. ثالثاً: أنشأوا لنا مصارف تقرضنا المال وتخلصنا من وجود المرابين. رابعاً: أنشأوا المدارس ومشوا بيننا التمدن. خامساً: دفعوا قيم املاكنا وعلمونا كيف نستفيد منها...» نقلًا عن: العصا لمن عصى ٢٧ شباط (فبراير) ١٩١٢، العدد ٣، ص ٢.

(٣) L. Stein; Balfour Declaration, p. 35.

الصهيونية هو تأسيس مملكة في آسية الصغرى ، ويتوجسون خيفة من المستعمرات المنشأة في سوريا وفلسطين ويخافون أن تكون مراكز لنفوذ الأجنبان ولا سيما الألمان منهم<sup>(١)</sup>. ذلك أن العلاقة التي أقامها الأمبراطور الألماني مع السلطان عبدالمحمد الثاني كانت في الأساس لمصالح اقتصادية وعسكرية بحيث أن ألمانيا وضعت في حسابها مصالحها الخاصة قبل المصالح العثمانية . لذا حرصت أيضاً في عهد الإتحاديين على إظهار صداقتها للحكم الجديد بتأثير من الزعماء الصهيونيين الموالين للألمان أمثال جاكوبسون وغيره . ويؤكد « مارلنغ » - القائم بأعمال السفارة البريطانية في الآستانة - أنه بالرغم من علاقة الود التي تربط ألمانيا بالإتحاديين إلا أن « شوكت باشا » و « درغولتز » (Dergolts) قد أتهما بالتخطيط للاطاحة بجمعية الاتحاد والترقي للمجيء بنظام عسكري يخدم المصالح الألمانية<sup>(٢)</sup>.

ويكشف رشيد رضا - بعد زيارته لآستانبول - خطط الصهيونية لامتلاك فلسطين ونفوذ اليهود في دوائر الحكم الجديد فيقول : « بأن آمالهم في القدس وفلسطين معروفة ومطامعهم المالية في المكان يعظم نفوذهم فيه غير مجهولة ... وقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين للحكومة خطباً بينوا فيها خطر جمعية اليهود الصهيونية على المملكة العثمانية وخطباً أنكروا فيها على ناظر المالية بيعه أحسن موقع عسكري في الآستانة لشركة أجنبية بثمن دون ثمن المثل بسمسرة بعض اليهود ، وهم يرون أنه يمكن بيع ذلك المكان بأضعاف ذلك الثمن . وقد دافع الصدر الأعظم في المسألة الأولى عن الحكومة وعن اليهود ، ودافع جاويد بك عن نفسه في الثانية . ونحن لا نتعرض للمحاكمة والترجينج بين المجلس والحكومة وحزبها وإنما ننبه الناس للتأمل والاعتبار<sup>(٣)</sup> .

ويمكن القول أن النفوذ الصهيوني لدى الحكم الجديد في تركيا ساعد كثيراً على إزالة القيود التي كانت تقف في وجه الاستيطان اليهودي في فلسطين وتيار الهجرة ، وكان أكثر ما يزعج الصهيونية « الجواز الأحمر »

(١) لويس شيخو ، المقال السابق ، نقلًا عن المشرق ، آب ( أغسطس ) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ . انظر أيضاً النار ، ١ آذار ( مارس ) ١٩١١ ، م ١٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) Marling to Grey, 14 Dec. 1909, No. 46061, in F.O. 371/781. نقلًا عن مقال في صحيفة (Le Jeune Turc) مرفق برسالة مارلنغ إلى غراي .

(٣) النار ، ١ آذار ( مارس ) ١٩١١ ، م ١٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

وقوانين التملك التي تحظر على اليهود الأجانب نقل ملكية الأراضي إليهم رغم إنها لم تستطع في الماضي أن تعيق تماماً دون تسرب بطيء ومستمر لليهود داخل فلسطين أو إنشاء المستعمرات<sup>(١)</sup>. وقد تدخل في موضوع إزالة هذه القيود الحاخام «حاييم ناحوم» رئيس الطائفة اليهودية في مصر وتعاون مع ستراوس ومرجانتو سفيري الولايات المتحدة، وبدلوا جهوداً كثيرة للقضاء على الجواز الأحمر الذي وضع خصيصاً لتحديد الهجرة إلى الدولة العثمانية<sup>(٢)</sup>. كما أن سياسة زعماء الحركة الصهيونية توجهت بشكل واضح تجاه استانبول والحكومة العثمانية ليس قبل عام ١٩٠٨ فحسب وإنما أيضاً في الأعوام التي تلتها<sup>(٣)</sup>. ومن أجل ذلك بذلت المنظمة الصهيونية جهودها للحصول على «ميثاق إتحادي» باستيطان فلسطين رغم ادعائها أن ذلك لم يعد ضرورياً طالما أن السلطان عبد الحميد الثاني قد خلع عن العرش، وأوضحت أن الصهيونية لا تهدف إلى إستقلال فلسطين عن الدولة العثمانية لأن الوجود اليهودي لا يكون مضموناً إلا تحت حماية أمبراطورية عثمانية قوية، وأن الزعماء الصهيونيين من خلال طغيان السلطان السابق طلبوا وضماً خاصاً وضمانات أو ما يسمى «الميثاق» حتى لا يقدم السلطان على نقض كل ما وضعوه. أما في العهد الاتحادي حيث يسود الدستور والحرية فلم يعد هناك حاجة لضمانات أو وضع خاص<sup>(٤)</sup>.

وتؤكد صحيفة (Revue du Monde Musulman) هذه الحقائق عندما

(١) رسالة كمبريتش قنصل بيروت إلى لوثر في ٢ تموز (يوليه) ١٩٠٩، نقلًا عن: خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٢) إيلي ليثي ابو عسل: بقظة العالم اليهودي، ص ٢٥٧. ويورد الدكتور محمد علي الزعبي في كتابه: حقيقة الماسونية، ص ١٧٥ من ان «حاييم ناحوم» لعب دوراً مؤثراً في خلع السلطان عبد الحميد، وانه عين سفيراً لتركيا في الولايات المتحدة ثم تقمص حاخاماً بمصر، فأنشأ بها عشرات المحافل الماسونية. وفي عهده أصبح قطاوي باشا اليهودي الماسوني وزيراً للمالية مصر، وهو الذي جمع من ماسونيينها ثمانية ملايين جنيه ساعد بها يهود فلسطين. ويذكر الكاتب اليهودي «المر بيرغر» في كتابه: اسرائيل باطل يجب أن تزول، ص ٢٠، ٢١ من ان حاييم ناحوم الحاخام الأكبر لمصر، كان قبل ان ينصب حاخاماً أكبر لمصر، يشغل ذات المنصب في تركيا في العهد العثماني وان حاييم ناحوم صرح مرة بأنه عندما كان حاخاماً أكبر لليهود السلطنة العثمانية أثار يوماً وفد برئاسة الزعيم الصهيوني «ناحوم سوكولوف» وطلب اليه التوسط لدى السلطان ليسمح للصهيونيين بشراء أراضي فلسطين، فأبدى له استعداداً وبدل وساطته في هذا الموضوع.

Y. Roi; *The Zionist Attitude*, p. 208. (٣)

A. Cohen; *Israel and the Arab World*, p. 74. (٤)

توضح أن الصهيونيين الذين رفضوا تأسيس دولة يهودية خارج فلسطين قد أسقطوا عرض أفريقيا (Territoire en Afrique) المعروض عليهم من قبل انجلترا . وعلى فترات متتالية طلبت الصهيونية من السلطان عبد الحميد - الذي كان يكرم أتباعه اليهود - تحقيق أمانيتها ، ولكن السلطان رفض أن يلين أمام المطالب الصهيونية ، إلا ان الظروف بعد ثورة ١٩٠٨ قد تغيرت والسلطان لم يعد هو الحاكم الوحيد ، والصهيونيون أصبح لديهم الأمل في الوصول إلى ما يبتغون<sup>(١)</sup> . وتضيف هذه الصحيفة إلى أن ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ أدت إلى تقوية الروابط العاطفية بين اليهود وأتراك مقدونيا ، وتكاثر الشركات الصهيونية وأصبحت منتشرة في المدن التالية : مناستر واسكوب وقونية وجانينا ومصطفى باشا وسميرن وأضنة وفي مناطق أخرى<sup>(٢)</sup> .

ويلاحظ أنه بعد تغير النظام في تركيا زار كثير من يهود ودونمة سالانيك الأراضي المقدسة ، لأن عملهم الأساسي إنما كان يهدف إلى تحقيق الحلم الصهيوني وقد زار فلسطين « دافيد فلورنتين » (David Florentin) - رئيس جريدة المستقبل (El-Avenir) الصادرة في سالانيك - وعرض بعد عودته أمام ثلاثة آلاف شخص التقدم الذي حققته القدس الحديثة (La Jerusalem Moderne) والنجاح الذي حققته المستعمرات الزراعية اليهودية في فلسطين بواسطة الشركة الصهيونية (VISU)<sup>(٣)</sup> . وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض التقارير الصهيونية تذكر أنه بعد خلع السلطان عبد الحميد انتعشت الأماني الصهيونية على أمل ممارسة اليهود والدونمة نفوذهم على جماعة الاتحاد والترقي الذين كانوا أقل تشدداً من السلطان عبد الحميد الثاني بشأن السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين وإنشاء المستعمرات فيها<sup>(٤)</sup> ، بعد أن حصلوا على تأييد رسمي من شخصيات يهودية تركية على رأسها عضوان نافذان في البرلمان العثماني هما : نسيم روسو ، ونسيم مازلياح .

وتذكر التقارير البريطانية أن الحكم الجديد أصبح خاضعاً ليس فقط

(١) . (1908) . T. 5, p. 793 *Revue du Monde Musulman* .

وقد أشارت إلى هذا الموضوع في حينه صحيفة « مورتنغ بوست » في ١ آب (أغسطس) ١٩٠٨ .

(٢) *Revue du Monde Musulman*, T. 5, pp. 147, 176.

(٣) *Revue du Monde Musulman* T. 9, p. 176-177.

(٤) احمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ص ٤٣٦ .

النفوذ السياسي الصهيوني وإنما للنفوذ الاقتصادي أيضاً ، فيقول « لوثر » بأن الدستور كان يتضمن التطوير الاقتصادي ولكن الجهاز التركي الاقتصادي كان ضعيفاً ولا يمكن أن يقف وحده بدون دعم . ويبدو أن التركي الاتحادي قد تحالف فقط مع اليهودي العثماني والأجنبي بينما أبعدت سائر العناصر ، كما يبدو أن اليهودي قد أوقع في شركته التركي المتخلف اقتصادياً وعقلياً<sup>(١)</sup> . وتضيف هذه التقارير بأن اليهود الذين يبدو الآن في موقف الملمه والمسيطر على الجهاز الداخلي للدولة يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة<sup>(٢)</sup> . ولم يقتصر ازدياد النفوذ على تلك القوى ، بل تمكنت « البكتاشية » من أن تزيد درجة نفوذها بعد تعاونها مع حركة « تركيا الفتاة » في خلع السلطان عبد الحميد الثاني ، وكان هذا التعاون مرشحاً للبروز بسبب التقارب بين الحركتين ، بل أن المستشرق « محمد موفاكو » يرى بأن طلعت باشا وأحمد رضا كانا ممن ينتمون إلى البكتاشية<sup>(٣)</sup> .

والواقع أن وصول الاتحاديين للحكم ومساهمة اليهود في أحداث الانقلاب والحلج ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ثم حاجة الحكومة للأموال اليهودية ، كل ذلك دفع النشاط الصهيوني في فلسطين خطوات إلى الأمام ، فبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد ازداد النفوذ الاقتصادي والسياسي الصهيوني فازداد عدد المؤسسات المالية العاملة في ميدان العمل الاستيطاني اليهودي في فلسطين ، وفي مقدمة هذه المؤسسات شركة أنجلو - ليفانتين (Anglo-Levantine) المصرفية في استانبول وشركة تطوير الأراضي الفلسطينية (Palestine Land Development) وشركة « أرض اسرائيل » (The Eretz Israel) والصندوق الثقافي اليهودي وشركة المكابي للأراضي وعدد آخر من الشركات المالية الاستثمارية والمصرفية التي لعبت دوراً هاماً في ترسيخ الغزوة الصهيونية<sup>(٤)</sup> .

وكان الوفاق العربي - التركي الذي أعلنه الاتحاديون قصير الأجل ، إذ

(١) رسالة لوثر إلى غراي ٢٩ أيار ( مايو ) ١٩١٠ . نقلاً عن : خيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢) ملف وثائق فلسطين ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٣) محمد موفاكو : البكتاشية ، نقلاً عن : العربي ، آذار ( مارس ) ١٩٧٧ ، العدد ٢٢٠ ، ص ٦٨ .

(٤) انظر : هاني الهندي : حول الصهيونية واسرائيل ، ص ٦٢ .

سرعان ما اتضح أن عناصر جمعية الاتحاد والترقي كانت تركية ويهودية ، وكان الاتجاه القومي الطوراني يقضي بسياسة التتريك وطمس معالم اللغة العربية والشخصية العربية ، بل إن الاضطهاد التركي للعرب ازداد عما مضى وأحس العرب بالاحتقار والسخرية بهم وبتراثهم أكثر من أي وقت سبق كما أسيتت معاملتهم وأضعفت لغتهم<sup>(١)</sup> . وفي مجلس المبعوثان حوربت اللغة العربية ، وتذكر « الكرمل » أن أحد نواب العرب اقترح يجعل اللغة العربية إلزامية للموظفين الذين يعينون في الولايات العربية ، ولكن طلبه قوبل بالرفض<sup>(٢)</sup> . ويؤكد « لوثر » في مذكراته إلى وزارة الخارجية البريطانية دور اليهود في تكريس هذه السياسة الطورانية الاتحادية بقوله : إنه لكي يصل اليهود إلى مراكز النفوذ في تركيا الفتاة فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية<sup>(٣)</sup> .

ونظراً لهذه السياسة التركية فقد أظهر قادة العرب شكوكهم في اخلاص جمعية الاتحاد والترقي التي انتظروا منها الحرية والاصلاح والمساواة وازدادت شكوكهم في زعماء الجمعية لأسباب عديدة منها :

أولاً : إن قادة جمعية الاتحاد والترقي وزعماءها كانوا جميعاً وبدون استثناء من البنائين الأحرار (Freemasons) .

ثانياً : إن يهود سالانيك كانوا جزءاً لا يتجزأ من جمعية الاتحاد والترقي .

ثالثاً : إن اليهود كانت لهم أطماع وأحلام توسعية ليس فقط في فلسطين وإنما أيضاً في بقية أنحاء الدولة العثمانية ، إذ أن السيادة على مصر ، هي جزء من ارث إسرائيل في المستقبل ، على حد قول لوثر في رسالته إلى غراي . بل تذهب الصهيونية إلى أكثر من هذه الحدود حيث يطالب « كان »<sup>(٤)</sup> في كتابه « أرض إسرائيل » (Eretz Israel) بحكومة يهودية مستقلة في فلسطين وحدودها الطبيعية هي لبنان

(١) انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية ، ص ١٩ . انظر أيضاً : عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٥٣ .

(٢) الكرمل ، ٢٧ آذار ( مارس ) ١٩٠٩ ، العدد ١٥ ، ص ٤ .

(٣) ملف وثائق فلسطين ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٤) كان ( J.H. Kaan ) ، هو أحد الأعضاء الثلاثة في اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية ، ومن كبار رجال المال اليهود في لاهاي ، زار فلسطين عام ١٩٠٧ ، وألف كتابه السابق الذكر في عام ١٩٠٩ .

شمالاً ، ثم دمشق والعقبة شرقاً ، وشبه جزيرة سيناء جنوباً ،  
والمتوسط غرباً .

رابعاً : إن الجمعية كانت تتعامل مع الأجنبي بشكل غريب ومثير ، فقد كانت  
هناك نخبة من الأتراك الاتحاديين - في مقدمتهم رشيد باشا وغيره  
من الساسة - يميلون ميلاً أجنبياً غربياً وإلى أقصى الحدود ،  
وهؤلاء الرجال كانوا الأعضاء الأوائل في المحافل الماسونية التي كانت  
منتشرة في تركيا بواسطة الأجانب<sup>(١)</sup> .

والواقع أن هذه المخاوف والشكوك التي أبدتها العرب نحو « تركيا  
الفتاة » أصبحت من صلب السياسة العربية ، وذلك بعد أن ظهرت القومية  
التركية الطورانية المتعصبة على حقيقتها ، وراحت تتحدى الكرامة العربية  
في أعزّ ما لديها من دين ولغة<sup>(٢)</sup> . وذكر الأب « لويس شيخو » من أن  
« رشيد رضا » - الذي أمضى سنة كاملة في الآستانة - « وقف على غوامض  
سياسة الجمعية ونخبآت صناديق أسرارها » . وأوضح أن جمعية الاتحاد  
والترقّي من شيعة الماسون . « ومن أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة  
والسلطة في المملكة العثمانية للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة إلى إضعاف  
اللغة العربية وإماتتها في المملكة وتتركب العرب مع إبقائهم ضعفاء بالجهل  
والضغط وذبذبة اللسان ... ومن لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود  
فيهم وفي الدولة ، وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد  
فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الأول وإلى ابتلاع  
أصحاب الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد<sup>(٣)</sup> » .

ومما زاد في شكوك العرب وحرص موقفهم أنه بعد عزل السلطان  
عبد الحميد امتدت يد العزل إلى كبار من كان يُعتمد عليهم من العرب ،  
وهذا أمر طبيعي ولكن ما هو غير طبيعي توجيه الاتهامات والاساءات  
إلى الموظفين العرب فقط دون غيرهم ، وأخذت الاتهامات توجه إلى أولئك  
العرب بأنهم كانوا وراء مظالم السلطان فكانت نسبة المعزولين من العرب

(١) S. Mardin; *The Genesis of Young Ottoman Thought*, p. 110.

(٢) زين زين : نشوء القومية العربية ، ص ٨٧ .

(٣) لويس شيخو : السر المصون في شيعة الفرمايون ، المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ،  
العدد ٨ ، ص ٩١٠ ، ٩١١ . انظر أيضاً : النار ، ١٩١١ ، ١٤٢ ، ج ٤ ،

ص ٢٦٩ - ٢٧٢ .

عالية جداً حتى لم يبق في وزارة الخارجية من العرب سوى موظف واحد<sup>(١)</sup>. بينما كان السلطان عبد الحميد يعمل على استمالة العناصر العربية ويسلمهم مناصب رفيعة وحساسة ، وأكثر السلطان من تقريب العرب وعظماهم حتى كانت لهم كفة مرجحة في الحكم<sup>(٢)</sup>. ومن بين هؤلاء عزت باشا العابد الدمشقي والشيخ أبو الهدى الصيادي ، وسليم باشا ملحمة وزير المعادن والحراج وشقيقه الوزير نجيب باشا ملحمة والاثنان من لبنان ، وغيرهم من العرب . وهؤلاء كلهم كانوا موضع ملاحظة من الاتحاديين ، حتى أن الشيخ أبو الهدى الصيادي لم يسلم من الاعتقال شهراً من الزمن<sup>(٣)</sup>. وبدأت الصحف الاتحادية في العاصمة العثمانية تنشر مقالات معادية للعرب ، ولم تقتصر هذه الحملات على أشخاص العرب الحميديين بل إلى كل عربي بحيث قرنت اسم العرب بلفظة « بيس » التركية ، وأضافت إلى ذلك ذكر جنسيتهم العربية بعبارة « بيس عرب » و« بيس عزت »<sup>(٤)</sup>. وكلمة « بيس » التركية معناها « قدر ». وكان باعة الصحف ينادون بأعلى أصواتهم بهذه العبارة في كل شوارع العاصمة ، مما أثار استنزاز العرب المقيمين في العاصمة من وجهاء وأدباء وموظفين وخريجي المعاهد العليا ، فقررروا في اجتماع عقدوه الاحتجاج على هذه العبارة . كما هاجمت صحيفة « طنين » لصاحبها اليهودي « حسين جاهد » كل القوى المعادية للاتحاديين وركزت هجومها على العرب بالذات ، فقد هاجمت خليل باشا حمادة وزير الأوقاف العربي في أواخر تشرين الأول ( أكتوبر ) عام ١٩٠٩ لسبب بسيط جداً لم يكن يعادله في ثقافته أي شيء ، مدعية ببطء الأعمال في الوزارة . غير أن الأمر الملفت للنظر أيضاً هو أن الدونمة واليهود نشروا بين الأوساط العربية عبارة « بيس تركيلر » أي « الأتراك القذرون » ، وذلك إيماناً منهم بضرورة مضاعفة الخلافات بين العرب والأتراك ، وتكريس الانقسامات بينهم .

وفي هذه الفترة ، لجأت لجنة الإتحاد والترقي إلى إستبداد لا يقل مطلقاً عن إستبداد السلاطين ، كما أن الظلم والقتل ازدادا في عهد الاتحاديين

(١) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، انظر أيضاً :

انيس صايغ ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٢) سعيد الأفغاني ، كانت الصهيونية هي خالمة السلطان ومقوضة الملكة العثمانية ، نقل عن :

مجلة العربي ، كانون الأول ( ديسمبر ) ١٩٧٢ ، العدد ١٦٩ ، ص ١٥١ .

(٣) يوسف الحكيم : سورية والمعهد العثماني ، ص ١٧١ . (٤) يقصد به عزت باشا العابد .

والفارق الوحيد هو أن تنفيذ الأعدام كان يجري بطريقة تتناسب والروح الحديثة<sup>(١)</sup>. وتؤكد صحيفة «المباحث» هذه الوقائع بقولها: «إن الإتحاديين كانوا يميلون إلى الانتقام الشديد بدلاً من السلوك بالتؤدة والرفق فأدى ذلك إلى مقابلتهم بمثل شدتهم أو أشد عنفاً. وكانت النتيجة أن لحق بسمعة الجمعية وبهجتها حيف في العاصمة<sup>(٢)</sup>». ثم لم يتوان الإتحاديون من ضرب العناصر الحرة وتفردوا بحكم البلاد، وعملوا على تترك العنصر الأخرى أو إبادةها، وكان للأيدي الأجنبية دورها في هذا المجال، مما حدا برجال العرب إلى التذمر فاتفقوا مع بعض الأتراك المعتدلين وأسسوا حزب «الإئتلاف» ونافسوا الإتحاديين<sup>(٣)</sup>. وقد بلغ نفوذ الدول الأجنبية والصهيونية بين أوساط الإتحاديين بحيث شلت قدراتهم على التحرك، إذ أن أعضاء تركيا الفتاة لم يستطيعوا لاهم ولا إصلاحاتهم إنقاذ الأمبراطورية العثمانية التي تكالبت واجتمعت عليها القوى الأكثر قدرة في ذلك الحين<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد السلطان عبد الحميد - بعد خلعهم - حقيقة وهي أن الإتحاديين لم يستطيعوا إنقاذ الأمبراطورية من التفسخ والضياع ويقول: «السلطنة العثمانية آنية قديمة متفسخة منعتها - بالاعتماد على مرهم «دائرة مصلحت» - من السقوط وذلك مدة ثلاث قرن، على أن الإتحاديين ما كادوا يتسلمونها مني - وقد استولوا عليها بقوة الشباب المخدوع بقوته - حتى أضاعوا التوازن وبدأ الانهيار دون أن يشعروا بالأمر<sup>(٥)</sup>». وقد اعترف بعض الإتحاديين أنفسهم بفشلهم وعدم درايتهم بشؤون السياسة والحكم ومن هؤلاء «محمد كافيت» - صاحب الرتبة العالية بين دعاة الإتحاد والترقي والذي أصبح فيما بعد وزيراً للمال - الذي أوضح للسكرتير الأول بالسفارة البريطانية بأن تركيا الفتاة كانت تضم الشبان الذين تنقصهم الخبرة في الأعمال الإدارية بالرغم من تحصيلهم العلمي، كما أنهم كانوا يفتقدون إلى الاحترام والتقدير أيضاً<sup>(٦)</sup>. لأن الممارسات العملية التي قاموا بها أثبتت خضوعهم لقوى

(١) N. Bischoff; *La Turquie dans le Monde*, p. 82.

انظر أيضاً: لوران غاسبار: تاريخ فلسطين، ص ٨٩.

(٢) المباحث، ١٥ حزيران (يونيه) ١٩٠٩، العدد ١٣، ص ٥٥٩.

(٣) البرغوثي وطوطح: تاريخ فلسطين، ص ٢٧٠.

(٤) N. Bischoff; *op. cit.*, p. 81, 82.

(٥) الأسرار، ٣ أيار (مايو) ١٩٣٨، العدد ٥، ص ١.

(٦) Lowther to Grey, 26 May 1909, No. 20299, in F.O. 371/772.

تركية يهودية ذات ارتباطات صهيونية وماسونية ففي عهدهم « رفعت الماسونية رأسها وعزت الفوز إلى مساعيها وصورت جمعية الإتحاد والترقي كجمعية ماسونية محضة . وكان أعضاؤها إذا ساروا إلى عواصم أوروبا يبحثون عن المحافل الماسونية ويسلمون على رؤسائها كما فعلوا خصوصاً في باريس وفي بودابست حاضرة المجر حيث صار لهم استقبال عظيم ورحب بهم الماسون ودعومهم إلى حفلاتهم كما أنبأت الجرائد الأوروبية ،<sup>(١)</sup> . وفي بناء زيارتهم لبريطانيا في صيف عام ١٩٠٩ أقيمت على شرف أعضاء الإتحاد والترقي مأدبة صهيونية أكد الأعضاء فيها ترحيبهم بالهجرة اليهودية إلى الأمبراطورية العثمانية<sup>(٢)</sup> ، وإن تظاهر الأعضاء في بعض الأحيان بالحدس والتردد .

ونظراً لتأييد الإتحاديين لأطباع اليهود في فلسطين ، فقد جرى نقل الموظفين الأتراك المعارضين للهجرة اليهودية من فلسطين إلى أماكن أخرى مثلما حدث مع علي أكرم بك الذي أثبت أثناء توليه المسؤولية كل حرص لوقف الهجرة اليهودية ، وإذا بالإتحاديين بعد ثورة تموز (يوليه) ١٩٠٨ يصدرون قراراً بنقله من فلسطين إلى بيروت ، لأن الحقيبة القصيرة الممتدة خلال عشرين شهراً من حكمه كانت الفترة الوحيدة بعد عام ١٩٠٠ التي تطبق فيها تعليمات الباب العالي على أكمل وجه<sup>(٣)</sup> . وقد ذكر المطلعون من أهل فلسطين أن عدد المهاجرين إلى يافا قد زاد في العهد الدستوري مما كان عليه في العهد الحميدي بفضل حماية القانون الأسامي حق كل فرد منهم<sup>(٤)</sup> .

هذا ولم يطرأ أي تحسن يذكر على الإدارة العثمانية في فلسطين في العهد الإتحادي ، بل استمرت عمليات الرشوة والفساد بين الموظفين ، وبواسطة هذه الأساليب استطاعت الصهيونية — بالإضافة إلى التأييد الرسمي التي كانت تلقاه — نقل الأعداد الكبيرة من اليهود إلى فلسطين وإنشاء مستوطنات

(١) المشرق ، آب (اغسطس) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦٠٨ . ويذكر انه في هذه الفترة كثرت الاحتفالات الماسونية في الولايات العثمانية تأييداً للإتحاديين ومنها احتفال محفل السلام الماسوني في بيروت الذي اقام حفلاً حياً فيه الإتحاديين في قهوة لاكمسبورغ وحضرها فؤاد باشا . انظر : النفائس ، ١ نيسان (ابريل) ١٩١٠ ، ج ٤ ، ص ٦٩ .

(٢) N. Mandel; *op. cit.*, p. 94.

(٣) N. Mandel; *op. cit.*, p. 91.

(٤) يوسف الحكيم : سورية والعهد العثماني ، ص ٢١٤ .

لهم<sup>(١)</sup>. وكانت المصادر البريطانية قد أكدت حوادث اعتقال المهاجرين اليهود في عهد السلطان عبد الحميد، وما انت قامت ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ حتى بدأت طلبات الجمعية اليهودية البريطانية في القدس تطالب اطلاق سراح المعتقلين اليهود، وقد تم لهم ذلك بالفعل فيما بعد<sup>(٢)</sup>. وتؤكد «المنار» هذه الحقائق مع الإشارة إلى دور اليهود وأهدافهم من الانقلاب العثماني فتقول بأنه: «كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية، فانهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى انهم كانوا يفرون إليها لاجئين من ظلم روسيا وغيرها، وإنما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله ليقموا فيه ملك اسرائيل. وكانت الحكومة العثمانية تعارضهم في امتلاك الأرض هناك فلا يملكون شيئاً منها إلا بالخيلة والرشوة. ولهم مطامع أخرى مالية في هذه البلاد فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة لتساعدهم على ما يبتغون، فإذا لم تنتبه الأمة العثمانية لكيدهم وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم، فان الخطر من نفوذهم عظيم وقريب، فانهم قوم اعتادوا الربا الفاحش فلا يبذلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا مثقالاً أو قنطاراً من الجزاء»<sup>(٣)</sup>.

وكان زعماء الاتحاد والترقي قد أعلنوا مراراً عن المشاريع التي وضعوها لتحسين أحوال اليهود في الدولة العثمانية، وكان «الدكتور ناظم» في مقدمة هؤلاء، وهو من المشاركين في ثورة تموز (يوليه) عام ١٩٠٨، ويعتبر صديقاً للشعب اليهودي، وقد صرح أن الحكومة العثمانية عازمة على انفاق مبلغ ٥ ملايين ليرة تركية لتوطين مهاجرين أجنبى في المناطق المقدونية بما فيهم عشرين ألفاً من يهود رومانيا<sup>(٤)</sup>. وقد أكد أحد زعماء الصهيونية بعد نجاح الاتحاديين في السيطرة على الحكم من أن أبواب فلسطين مؤهلة لأن تفتح لليهود بدون صعوبة، وأن الزعماء الجدد في تركيا يسرهم الاستيطان اليهودي، وهم على استعداد لاستقبال المهاجرين الجدد بجرارة<sup>(٥)</sup>.

(١) احمد عزت عبد الكريم : المرجع السابق، ص ٤٣٦.

(٢) Blesch to Lowther, 26 April 1909, No. 34, in F.O. 195/2321.

(٣) المنار، ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٠، ١٣٢، ج ١٠، ص ٧٢٥.

(٤) رسالة مارتنغ إلى غراي، ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٩. نقل عن: خيرية قاسمية،

المرجع السابق، ص ٥٣.

(٥) A. Cohen; *Israel and the Arab World*, p. 73.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى الخلافات الشديدة التي حدثت بين أعضاء الإتحاد والترقي ، ففئة منهم - وهي صاحبة النفوذ القوي - شجعت الحركة الصهيونية ومشاريعها في فلسطين ، وفئة أخرى حاربت النشاط الصهيوني واعتبرت نفسها مغبونة ومغرراً بها ، ورأت أن الحركة الصهيونية واليهود استغلوا أعضاء تركيا الفتاة لتنفيذ مآربهم . وتضيف « المشرق » حقيقة وهي أن حزب الاتحاد والترقي تنبه لخرج الموقف وتخوف من حدوث مضاعفات وانقسامات « وأن صادق بك وجه كل همته لمقاومة جاويد بك وزير المالية الذي ساءت به الظنون لوفرة علائقه بالمضاربين ولإسباغه النعم على آله ، وصحبه وغيرهم من اليهود المسلمين [ الدونمة ] وأعظم غلطة ارتكبوها أنهم رضوا بأن كاراسو أفندي الماسوني اليهودي يكون من الوفد الذي حمل الفتوى إلى عبد الحميد بخلعه ، وقد ارتكبوا بعدها عدة أغلاط » (١) . وكثيراً ما تكررت الانقسامات والمجادلات بين الفئات المتنازعة من أعضاء الاتحاد والترقي وأعضاء مجلس المبعوثان ، فقد حدث أن « مفيد بك » - أحد نواب الأحرار وممثل ألبانيا - هاجم « حسين جاهد » اليهودي صاحب صحيفة « طنين » بشأن اسلوب الحكم ، وكاد أن يضربه في داخل المجلس ، وتقول « الأهرام » ١٩٠٩ بأن كلام مفيد بك كان كالسهم أصاب حسين جاهد ، واندفع هو ومؤيدوه يريدون المهجوم على خصمهم ، وكادت تنشب معركة في داخل المجلس لولا فرق الماقلون بين الطرفين (٢) .

وأخيراً يمكن إبراز دور الصهيونية واليهود والدونمة والماسونية في ثورة الإتحاد والترقي والأسباب التي أدت إلى نجاحها فيما أوردته صحيفة « نهضة العرب » في باريس عام ١٩٠٩ حيث أرسل إليها « أحد فضلاء العثمانيين المسلمين في باريس » مقالاً بعنوان « الإسرائيلية في جمعية الإتحاد والترقي » يُستنتج منه تأكيد الشكوك العربية بثورة الإتحاديين ، كما يؤكد الوعي واليقظة السياسية والوطنية عند كاتب المقال الذي يقول : « تناقل العارفون

(١) لويس شيخو : السر المصون في شعبة الفرماسون ، نقلاً عن : المشرق ، آب ( اغسطس ) ١٩١١ ، العدد ٨ ، ص ٦١٨ ، ٦١٩ . للزيد من التفصيلات عن معارضة بعض النواب العثمانيين لممارسات جاويد بك ، انظر : النار ، ١ آذار ( مارس ) ١٩١١ ، م ١٤ ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(٢) انظر : الأهرام ، ١١ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩ ، العدد ٩٣٦٨ ، انظر أيضاً : توفيق برو : العرب والترك ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، ص ١٢٥ .

من الناس ما كان من أمر الإسرائيليين والماسون مع جمعية الاتحاد والترقي واشتراكهم في نهضتها وقيامهم بناصرتها حتى ذهب البعض إلى أن فوزها كان ثمرة مساعيهم ثم توسعوا في البيان فقالوا: إن اليهود لما قنطوا من تحقيق أمانيتهم في عهد الحكم السالف باستملاك أراضي فلسطين وتشديد مملكة إسرائيلية فيها كما هو معلوم عنهم لدى الخاص والعام عمدوا إلى الماسونية ولهم فيها اليد الطولى كما لا يخفى ، فاتخذوها آلة لترويج مقاصدهم في تلك الأرجاء وجروا في هذا السبيل على خطتهم المعروفة في التسلط على الحكومات الأوروبية فاستعانوا بالماسونية واستتروا وراءها ، ودفعت الماسونية جمعية الاتحاد والترقي ومدتها بالرأي والمال ، وجعلت أندية لها ملجأ فامتنع على أعوان السلطان المخلوع ولوجها وانضم إليها أمراء العسكرية وأخذوا مع الجمعية بنشر مبادئهم وأفكارهم في الولايات المكشوفة واستلوا إليها الكثيرين وفازوا بالقوة التي مكنتهم من قلب الحكم المطلق وتبديله بالدستور .

ويتابع الكاتب قوله : « ومعلوم أن إسم الجمعية « الاتحاد والترقي » هو إسم اللوج الماسوني في سلانيك . فاشترك الماسونية في نهضة الأحرار أمر ثابت لا يختلف فيه إثنان ، وما كان ذلك ليدعو إلى التخوف والوجس ما دامت نتيجته تأييد الحرية والمساواة وخير الأمة والبلاد ، ولكن الذي جعل الأمر موضوعاً للتأويل والاشتباه إنما هو الحركة الاسرائيلية الكامنة وراءه وغاية اليهود من السعي بالفتنة في الدولة والعمل على دمارها ليشيدوا على خرائب آل عثمان المملكة الاسرائيلية التي ما برحوا يحلمون بها . أما اللائحة التي بنوا عليها هذا التدبير فهي في اعتقادهم أن المتمسكين بالدين من مسلمي العرب والترك لا يرتاحون إلى الحرية والمساواة في دولة هي قاعدة الخلافة الإسلامية فيقومون على الأحرار ويقع بينهم الشقاق والنزاع وتضطر الدول الأجنبية إلى وضع يدها لحماية مصالحها الكثيرة وتحقيق مطامعها الكبيرة . ويزيد في توسيع الخرق ما هي عليه العناصر العثمانية من التباين والتنافر فيستحكم البلاء ويفضي الشر إلى تشتيت شمل الدولة وهدم أركانها وبذلك يبلغون القصد ويتم لهم المراد<sup>(١)</sup> . » وأضاف كاتب

(١) كاتب مجهول : الامرائيلية في جمعية الاتحاد والترقي ، نهضة العرب ، ١٤ أيار ( مايو )

المقال (١) أنه لم يكن ليصدق هذا القول « حتى وقفت في الجرائد آخراً على التفاصيل المتعلقة بالجيش المكدوني وفيها أن معظم العساكر التي تألفت منها حملة سلانيك كان من اليهود ، وكان الضباط يولونهم الأفضلية على عساكر المسلمين فأدهشني هذا الخبر ، ثم ما لبثت ان طالعت عن الوفد الذي حمل للسلطان عبد الحميد فتوى الخلع ، وقد تألف من أربعة أعضاء بينهم اسراييليان عمانويل قره سو رئيس اللوج الماسوفي في سلانيك وسلهون ابران . وعثرت في جريدة « النيويورك هيرالد » و « البرلينر تاجبلاط » وغيرهما من جرائد العالم الكبرى أن زعماء جمعية الاتحاد والترقي من عسكريين وملكيين إنما هم تلامذة قره سو في سلانيك . وقرأت أيضاً في عددكم الأخير ذكر الاسرائيليين في وفد الخلع وحلّم ذلك على حمل التساهل وحرية الضمير عند جمعية الإتحاد والترقي ، فلم يعد عندي مجال للتردد ورأيت في ذلك غير ما رأيتم ، ولا يسعني بعد كل ما ظهر وثبت أن أخالف القائلين بمآرب اليهود ودسائس سياستهم الخفية .

وأضاف الكاتب مستنكراً على الاتحاديين توكيلهم اليهود بتنفيذ فتوى الخلع للسلطان بقوله « متى كان الأئمة تعهد إلى اليهود بتنفيذ الفتاوى الشرعية وتنتدبهم سفراء إلى خلفاء الإسلام يتلون عليهم نص الشرع الشريف ويبلغونهم ارادة الأمة بخلعهم عن كرسي الخلافة ؟ بل ما الذي اضطر جمعية الإتحاد والترقي ياترى إلى تأليف الوفد على هذه الصورة ، وكيف رضي الاسراييليان بأن يكونا ممثلي الإسلام في هذه المهمة ؟ أفاتهم ما يكون من تأثيره على المسلمين ، أم أيقنوا بالفوز العاجل فظنوا انهم قبضوا على عنان الدولة وقريباً ينشرون فوقها راية اسرائيل؟ ولعمري لا أرى هناك إلا استدراجاً في الخطة التي آلوا على انفسهم اتباعها ، وقد ناصروا أصحاب الإتحاد والترقي حتى ولوهم الحكم بالسيف ومكنوهم من العرش فخلعوا سلطاناً ونصبوا سلطاناً واستأثروا بحق يختص بالمسلمين ، ثم باهوا به واقتخروا وقالوا : جرة نلقياها في صدر الإسلام فتتلظى على فتيان الترك فنصلها بينهم ناراً حامية تلتهم الدولة وتقوض أركانها فنقيم على بقاياها هيكلاً أورشليم .

(١) لم تذكر الصحيفة اسمه ، انما يبدو انه كان من مؤيدي الإتحاد والترقي ومؤيدي الثورة على السلطان ، ولكن بعد ان رأى الظروف والملابسات التي أحاطت بالثورة أبى على نفسه إلا ان يعلن الحقيقة ، ويشجب ممارسات اليهود والاتحاديين .

وأضاف الكاتب شارحاً بعض نشاطات الصهيونية معتمداً على ما نشرته جريدة «الطان» (Temps) في ٥ أيار (مايو) عام ١٩٠٩ من أن «اسرائيل زنفويل» رئيس الجمعية الاسرائيلية - التي تسمى لتشييد مملكة اسرائيلية - لما فرغت يده من تحقيق هذه الأمنية في فلسطين وأميركا الجنوبية عمد سنة ١٩٠٧ إلى مفاوضة «رجب باشا» والي طرابلس الغرب ومشيرها واتفق معه ومع العساكر والضباط وكلهم من الأحرار المبعدين لكي يستعمر اليهود تلك الولاية ويستقلوا بها، وأن الاتفاق تم فيما بينهم على هذه الشروط إلى غير ذلك... «وبعد هذا من لا يرتاب بأمر اليهود مع الأحرار ومن لا يحزن ويضطرب من أن فتياتنا أنصار الحرية آلة لتنفيذ المطامع، ونهضتهم الشريفة مكننا للمآرب والدسائس التي يحاول المفسدون أن يقضوا على الأمة والبلاد»<sup>(١)</sup>.

هذا وقد أجاب محرر «نهضة العرب» مؤكداً ما ذكره صاحب المقال، بأنه يكفي الاطلاع على ما أوردته صحيفة (Le Matin) في افتتاحيتها الصادرة في ٧ أيار (مايو) عام ١٩٠٩ عندما قالت: «أنه كان من الممكن للوهلة الأولى إقناع العثمانيين وأشدم وطنية وإخلاصاً بأن جيش الأحرار لم يدخل الآستانة إلا ليمحق استبداداً وظلماً مهيناً، ولكنهم عندما رأوا العصابات البلغارية يقودها «سادنسي» تسوق الجند النظامي مقبداً إلى محاصرة يلدز، ورأوا قره سو يحمل فتوى الخلع إلى السلطان علموا ان ليس هناك خلع سلطان بل تقويض أركان السلطنة العثمانية وآخر عهد العثمانيين، بالملك والدولة»<sup>(٢)</sup> وأضاف المحرر بأنه قرأ في جريدة «الأكلير» و«الليبر بارول» وسواهما من الصحف الكبرى مقالات بالمعنى نفسه<sup>(٣)</sup>.

ويمكن القول ان ثورة ١٩٠٨ وحادثة خلع السلطان ١٩٠٩ لعبتا الدور الأول والفعال في انتعاش الأماني الصهيونية لاقامة «مملكة اسرائيل» في فلسطين. وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك تزايد الهجرة اليهودية إلى

(١) الاسرائيلية في جمعية الاتحاد والترقي، نهضة العرب، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩، العدد ٦، ص ٢.

(٢) نهضة العرب، ١٤ أيار (مايو) ١٩٠٩، العدد ٦، ص ٢.

(٣) انظر مقال رفيق العظم في المقطم، ١٣ آب (اغسطس) ١٩٠٩ الذي شرح فيه دور اليهود في ثورة الاتحاديين، وكان رفيق العظم قد سافر إلى الآستانة في صيف عام ١٩٠٩ للاطلاع على السياسة الجديدة في العهد الجديد.

الأراضي المقدسة ، في الوقت الذي انشق بعض الاتحاديين عن حركتهم معارضين هذه الهجرة ، وفي الوقت الذي أعلن فيه العرب الموالون للاتحاديين معارضتهم أيضاً للسياسة التي تتبعها جمعية الاتحاد والترقي ولنشاط الحركة الصهيونية في أراضيهم .

\*\*\*

وأخيراً ، وبنتيجة البحث الوثائقي أمكن التوصل إلى عدة نتائج يمكن تلخيصها على النحو التالي :

إن محاولة السيطرة على فلسطين جرت عملياً منذ عام ١٧٩٨ وليس أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ذلك حينما قام نابليون بحملته على الشرق وتوجيهه نداء إلى اليهود لمؤازرته في السيطرة على الأراضي المقدسة وإسكان اليهود فيها . وكان اليهود في عداد الممولين الأوائل للحملة الفرنسية ، كما أن يهود الدولة العثمانية قاموا بتقديم العون وتيسير سبل الحملة وإن كانوا قد أنكروا هذا العون . وبعد فشل أهداف الحملة الفرنسية بدأت بريطانيا تعلن حمايتها لليهود بواسطة أول قنصلية بريطانية في القدس عام ١٨٣٨ ، وقد أرسل يومذاك « بامستون » - وزير الخارجية البريطانية - تعليقاته إلى القنصل « وليم يونغ » ( W. Young ) بضرورة منح الحماية لليهود في فلسطين . وبدأت وزارة الخارجية البريطانية تسعى لدى الباب العالي لإقناعه بقبول اليهود كمستوطنين في الأراضي المقدسة ، وطالبت بريطانيا الحكومة العثمانية عام ١٨٤٥ بطرد المسلمين من فلسطين إلى مناطق أخرى في آسيا الصغرى ، وإحلال اليهود مكانهم ، إلا أن الباب العالي والحكومة العثمانية رفضا هذا المسعى وهذه المقترحات البريطانية .

وتدعي بعض المصادر الصهيونية من أن حاكم مصر محمد علي باشا قد اتفق مع اليهودي البريطاني « مونتفيوري » على استيطان يهودي في فلسطين بما يترتب على ذلك من وجود حاكم يهودي في دولة يهودية مستقلة ، إلا أن الوثائق المعاصرة لبلاد الشام وفلسطين أثبتت عكس هذا الادعاء ، ولعل وثائق « الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا » خير دليل بأن الحاكم المصري ما كان ليرضى بإقامة دولة يهودية في فلسطين فكان طوال سني حكمه متجاوباً كل التجاوب مع مطالب أهل فلسطين فيما يختص هذا الموضوع .

أما تسوية لندن عام ١٨٤٠، فلم يكن هدفها ضرب محمد علي في مصر والشام وتقليص قدراته الصناعية والحربية والاقتصادية فحسب، بل كان لهذه التسوية أسباب استعمارية أخرى تتعلق مباشرة بمستقبل فلسطين، لأن إقامة وحدة عربية إسلامية بين مصر وبلاد الشام من شأنها أن تحول دون تحقيق المطامع اليهودية والأوروبية، ولأن قيام دولة عربية واحدة ستقطع الطريق على إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين تحت الرعاية البريطانية. ولطالما حرك اليهود الفتن الداخلية في بلاد الشام ولا سيما في عام ١٨٦٠، وثبتت ادانتهم في تردي الأوضاع الأمنية في المنطقة، مما اضطرهم وقتذاك إلى طلب الحماية البريطانية وتدخل السير «مونتغيوري» لأتقاذهم مما اتهموا فيه، ومما يدل على ذلك ما عثرت عليه من وثائق في مجموعة «المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان عام ١٨٦٠».

واستمر النشاط الصهيوني - البريطاني وتزايد نتيجة لشراء بريطانيا أسهم قناة السويس عام ١٨٧٥. وبالدليل القاطع فان أموال هذه الصفقة لم تكن أموالاً بريطانية بقدر ما كانت أموالاً يهودية، لأن عملية الشراء تمت بواسطة دزرائيلي رئيس الوزراء البريطاني اليهودي، وبأموال عائلة روتشيلد اليهودية أيضاً، وقد اعترف «دزرائيلي» بأن الهدف من هذه العملية لم يكن السيطرة على مصر فحسب وإنما السيطرة على فلسطين أيضاً، وفي عام ١٨٨٠، صرح بأن من يملك فلسطين يمكنه أن يهدد منطقة القناة. وفي عام ١٨٨٢ قال «ادوارد كوزليت»: ان احتلال مصر قد وحد بين مصالح الأمبراطورية البريطانية في الشرق وبين مصالح اليهود في فلسطين. وأكد «زاندويل» - الزعيم الصهيوني - هذه الحقيقة بقوله: الآن وليس في وقت آخر هي فرصة اسرائيل، لن نصبر لا اليهود ولا فلسطين بعد ان نقلت قناة السويس العالم إلى أبواب فلسطين.

وكان يقابل النشاط السياسي الصهيوني نشاط آخر تمثل بالهجرة اليهودية إلى الأراضي المقدسة، ففي منتصف القرن التاسع عشر بدأت الهجرة اليهودية تتخذ طابعاً خطراً على البلاد لما أظهرته من أهداف استيطانية ولكن عدد اليهود حتى عام ١٨٣٩ كان لا يتجاوز ستة آلاف مقابل ثلاثمائة ألف عربي أي بنسبة ٢٪ من السكان. وبزيادة الهجرة اليهودية تزايد خطر القادمين فقد بلغ عددهم بين عام ١٨٨٢ وأوائل القرن العشرين

حوالي مائة ألف مهاجر، مما حدا بالحكومة العثمانية في إصدار عدد من القوانين الخاصة بالهجرة التي استطاعت بها أن تقلص من عددهم حيناً، وتحد من سيل الهجرة المتدفق حيناً آخر.

وكان مؤتمر بال عام ١٨٩٧ قد أقر بضرورة إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين، رغم معارضة عدد كبير من اليهود، ولكن المنظمة الصهيونية استمرت في مساعيها مع الدولة العثمانية والدول الاستعمارية والأوروبية لتحقيق مشروعها، غير أن القوانين العثمانية والفرمانات السلطانية منعت إلى حد تدفق المهاجرين اليهود نظراً لخطورة هجرتهم على مستقبل فلسطين، ونظراً لتسببهم في تأخر فلسطين اقتصادياً واجتماعياً وصحياً. ولكن يلاحظ أنه رغم إصدار القوانين العثمانية فان المتصرفين والحكام المرتشين لعبوا دوراً مؤثراً في النجاح الهجرة اليهودية، بالإضافة إلى فساد الادارة الضرائبية العثمانية وطرح أراضي الفلاحين بالمزاد العلني إستيفاء للضرائب، كما أن الإقطاع اللبناني والسوري والفلسطيني قد ساهم إلى حد كبير ببيع الأراضي الفلسطينية إلى القادمين اليهود.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من الواقع الأليم الذي عاشه الفلاح الفلسطيني فقد استمر متمسكاً تمسكاً شديداً بأرضه وعمله وجعلها تدر خيرات وفيرة، لكنه في الوقت الذي شرفه أن حياته أصبحت مهددة بالخطر نتيجة لسلب أرضه أو طرده من عمله أبدى معارضته الشديدة واحتجاجه المستمر على الواقع الجديد. والحقيقة أن ردود الفعل الفلسطينية ضد الهجرة اليهودية، تعود إلى بداية الهجرة، ويمكننا أن نستخلص من تقرير «أسعد خياط» القنصل البريطاني في يافا عام ١٨٥٨ من أن ردود الفعل العربية لم تبدأ في أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين كما كان يعتقد، بل تعود عملياً إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما كان يقوم العرب بهجمات مستمرة على اليهود والأجانب بقصد ارهايقهم ومنعهم من الإستيطان في فلسطين. واحتج القنصل على أن القاضي عندما أمر بعدم تسجيل سكوك بيع وشراء عقارات ومزارع للأوروبيين والأميركيين على السواء، إنما كان يخالف الاتفاقات المعقودة فيما بين الدولة العثمانية والدول الأجنبية. ويمكن القول أن الاضطرابات قد ازدادت في فلسطين بعد سلب أراضي الفلاحين أو شرائها قسراً من قبل الحكومة العثمانية «والمقاطعية»

— الإقطاع — اللبنانيين أمثال عائلات : تويني ، سرسق ، مدور وغيرها ،  
والفلسطينيين أمثال عائلات : كسار ، روك ، خوري ، وحنا وغيرها .  
ففي عام ١٨٨٦ هاجم الفلاحون الحضيرة وملبس — وهي القرى  
التي كانوا يملكونها في الأساس — مما أجبر الدولة عام ١٨٨٧ على فرض  
قيود على الهجرة اليهودية . وفي عام ١٨٩٠ قدّم وفد من وجهاء القدس  
عريضة احتجاج للحكومة العثمانية بسبب تساهل رشاد باشا وعدم تقيده  
بتنفيذ قوانين الهجرة القاضية بمنع دخول اليهود إلى فلسطين ، وطالبوا  
بإصدار فرمان سلطاني يمنع استيطان اليهود بصورة نهائية ، وقد وقّع على  
هذه العريضة ٥٠٠ من الاهالي مما يدل على وعي ويقظة الشعب الفلسطيني.  
وفي عام ١٨٩٧ ترأس محمد طاهر الحسيني لجنة عربية للوقوف في وجه  
الإستيطان اليهودي ومراقبة تسجيل وبيع وشراء الأراضي .

ومن الأهمية بمكان القول ، أنه اتضح لي من خلال دراستي لمواقف  
الزعامات العربية أنها لم تكن على مستوى الخطر الصهيوني ولا على مستوى  
يقظة الشعب الفلسطيني الذي لمس بنفسه مدى هذا الخطر على مستقبل  
بلاده . فكانت هذه الزعامات تنقسم إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول  
كافح من أجل إنهاء السيطرة العثمانية على البلاد العربية ، والقسم الثاني  
كافح من أجل إنهاء السيطرة الأوروبية — وبالذات البريطانية — على هذه  
البلاد ، ودعا إلى دعم الدولة العثمانية . وبينما تمثل الزعامات الشامية القسم  
الأول ، تمثل الزعات المصرية القسم الثاني . والواقع أنه بالرغم من وعي  
هذه الزعامات سواء على مستوى السيطرة العثمانية أو السيطرة الأوروبية ،  
غير أنني لم أجد أن هذا الوعي قد تعدى حدود ذلك رغم أن الخطر الصهيوني  
كان ماثلاً للعيان ، بدليل أن بعض الزعامات العربية مثل «أمين أرسلان»  
— وهو مثال للزعامات الشامية — و«مصطفى كامل» — وهو مثال  
للزعامات المصرية — لم تتحرك بفعالية ونشاط ، بل لم تبد اهتماماً يذكر  
بالحركة الصهيونية وأخطارها على مستقبل الأراضي المقدسة ، وربما يعود  
سبب ذلك إلى انشغال هذه الزعامات إما بالاستعمار البريطاني كما هو في  
مصر ، أو الانشغال بالسيطرة العثمانية كما هو في بلاد الشام ، على أن  
ذلك لا يبرر الصمت التام عن الخطر الصهيوني حيناً ، والتأييد للمنظمة  
الصهيونية أو الإعجاب بها حيناً آخر . وبالإضافة إلى ذلك فقد اتضح لي

من خلال البحث بأن الصحافة العربية لم تكن كلها أيضاً على مستوى الخطر الصهيوني ، ولكن شذت عن هذه القاعدة مجلة « المنار » ووعى صاحبها رشيد رضا هذا الخطر الذي نبه إليه منذ عام ١٨٩٨ . وتلت « المنار » فيما بعد صحيفة « الكرمل » التي عبرت في الفترة ١٩٠٨-١٩٠٩ عن وعي سياسي واضح برئاسة صاحبها نجيب نصار . كما أن « المشرق » بدأت بعد الثورة على السلطان عبد الحميد ١٩٠٨-١٩٠٩ تبين أهداف الحركة الصهيونية على فلسطين . وينبغي أن نذكر في هذا المجال أن بعض الزعامات الفلسطينية كانت تعي الخطر الصهيوني وتظهره منذ عام ١٨٩٩ مثال : يوسف ضيا الخالدي ، كما أن بعض المفكرين اللبنانيين أشاروا إلى أهداف الحركة الصهيونية منذ عام ١٩٠٥ مثال : « نجيب عازوري » .

ويلاحظ بأنه بعد ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩ تبدلت السياسة العثمانية إزاء فلسطين والبلاد العربية وازدادت موجة الهجرة اليهودية ، بينما كانت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد تعمل ما بوسعها لمنع الاستيطان اليهودي في الأراضي المقدسة . وكان هذا الموقف قد أبداه السلطان منذ بداية عهده عندما جاءه « أوليفانت » (Oliphant) المبعوث اليهودي لمطالبته بإنشاء كيان لليهود في فلسطين ، فكان رد السلطان بأن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية منطقة من المملكة إلا في فلسطين ، لأن الدولة ترحب بالمضطهدين ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة دولة لهم في فلسطين يكون أساسها الدين .

والجدير بالذكر أن سياسة عبد الحميد الثاني إزاء الاتحاديين والصهيونية ودول أوروبا قد أدت إلى إتفاق هذه العناصر مجتمعة للقيام بثورة ١٩٠٨ . وبواسطة المحافل الماسونية تمكن ضباط الإتحاد والترقي من التحرك بفعالية أكثر ، لأن وجودها في سلانيك كان يضمن لها الحماية الدولية على اعتبار أنها إحدى الولايات الثلاث الخاضعة للمراقبة الدولية . وعلى هذا يمكن أن نستخلص من دراسة الوثائق التي بين أيدينا أن ثورة الإتحاد والترقي هي ثورة يهودية - دولية قبل أن تكون ثورة تركية أو عثمانية ، لأن لجنة سالانيك الإتحادية تكونت تحت رعاية ماسونية دولية وبتأييد من اليهود ويهود الدونمة ، وإن عناصر يهودية مثل : قارصوه وسالم وساسون وفارجي ومازلياح وجاويد وبالجي ، قد لعبوا دوراً أساسياً في تنظيم هذه

اللجنة وفي إنجاح الثورة . كما وأن معظم اليهود قد أظهروا حماساً متزايداً في ضرورة التقدم وبسرعة نحو العاصمة لاحتلالها ، وكان الجيش الزاحف نحوها أيضاً بقيادة الكولونيل رمزي بيه هو أحد يهود الدونمة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الصهيونيين في فلسطين أظهروا اهتماماً بالغاً بالثورة على أمل تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه أثناء حكم السلطان عبد الحميد وقد أكد مثل هذه الحقائق جميع الدبلوماسيين البريطانيين أمثال : لوثر وبلش ومارلنغ .

وتؤكد الوثيقة السلطانية الحميدية المرسلة إلى الشيخ محمود أبو الشامات - والتي ثبتت صحتها - بأن السلطان ما خلع عن العرش إلا لأنه رفض عرض (١٥٠) مليون ليرة ذهبية مقابل إنشاء وطن قومي لليهود . ولذا فقد حرصت المنظمة الصهيونية في عهد السلطان محمد رشاد على الحصول على قانون يسمح لليهود بالهجرة والتملك وإلغاء الجواز الأحمر ، كما أن النفوذ اليهودي والصهيوني ظهرا بوضوح في أوساط الحكومة الجديدة ، لاسيما وأن وزير المالية جاويد بك كان أحد اليهود الذين كان لهم الدور البارز في قرار خلع السلطان ، مما أدى إلى قيام حركة معارضة ضد سياسة الحكومة وضد سياسة وزير المالية بشكل خاص ، وتمثلت هذه المعارضة بممثلي المبعوثان صادق بك ومفيد بك ، ونواب فلسطين الثلاثة : روحي الخالدي ، سعيد الحسيني ، وحافظ السعيد . وبالإضافة على تأكيد الوثائق البريطانية لدور اليهود في ثورة ١٩٠٨ - ١٩٠٩ وتزايد نفوذهم في العهد الإتحادي ، فقد أكدت أيضاً الصحف المعاصرة هذه الحقائق ومنها صحف : المشرق ، والمنار ، والعصر الجديد ، ونهضة العرب . ولعل في دراسة مقال : « الاسرائيلية في جمعية الإتحاد والترقي » لأحد العثمانيين المسلمين في باريس هو خير شاهد على ما جرى من ملابسات وظروف الثورة والخلع ، الذي ورد فيه تأكيد على كل الحقائق التي سبق وتناولتها في هذا البحث ليأتي مقالاً ملماً بكل أسباب ونتائج ثورة الإتحاديين . ولا بد لي أخيراً من ذكر نتيجة من نتائج البحث ، وهي أن المسؤولية تلقى في هذه الفترة على جهات أربع هي :

١ - الإدارة العثمانية الفاسدة المرتشية والتي كانت في كثير من الأحيان تخالف قرارات السلطان والحكومة .

٢ - الإقطاع اللبناني والسوري والفلسطيني الذي ساهم إلى حد كبير

في تردّي أوضاع الفلاح الفلسطيني وسهل عمليات بيع الأراضي للمهاجرين اليهود .

٣ - الزعامات العربية التي لم تلعب الدور الفاعل في توعية الشعب العربي بأخطار الحركة الصهيونية ، رغم أن شعب فلسطين لم يتوانَ في إظهار ردود فعله المستمرة . كما وأن تلك الزعامات لم تظهر معارضتها لحركة الهجرة اليهودية ، وكل ما فعلته هو تركيز جهودها في معارضة الدولة العثمانية أولاً وبريطانيا ثانياً .

٤ - الدول الاستعمارية التي ساعدت الحركة الصهيونية بأسلوب أو بآخر لتحقيق أهدافها الأولية في القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٠٩ .

تم بحمد الله

الملاحق



## ملحق رقم (١)

رسالة السير شارل نابيير (Charles Napier) عام ١٨٤٠ إلى أهل الشام يعلمهم فيها باتفاق الدول الأوروبية والدولة العثمانية على إنهاء حكم محمد علي<sup>(١)</sup>

### أها السوريون

إن بريطانيا العظمى والنمسا وروسيا وبروسيا بالاتفاق مع عظمة السلطان قد اتفقت جميعاً على إنهاء حكم محمد علي في سوريا . وقد أرسلت على رأس قوة بحرية متقدمة لأساعد في إزالة نير الحكم الذي بسطه باشا مصر على هذه البلاد .

إنكم تعلمون أنه قد صدر عن عظمة السلطان « خط شريف » يضمن سلامة رعاياه وضمأن ممتلكاتهم ، وينطبق مفعول هذا « الخط الشريف » على جميع أجزاء الأمبراطورية العثمانية بما في ذلك هذه البلاد بالذات . كما أن الدول الحليفة قد رفعت توصية إلى عظمة السلطان من شأنها أن توفر لكم الخير والراحة ...

(١) نقل عن :

W. P. Hunter; Narrative of the Late Expedition to Syria, vol. 1, pp. 7,8.  
زين زين : الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص ١٨٩-١٩٠،  
بيروت ١٩٧١ .

## ملحق رقم (٢)

تعريب بعض الفرمانات السلطانية التي أصدرها السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٠٨ هـ الخاصة بالهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>(١)</sup>.

الفرمان الأول - ٢١ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ هـ .

لا يسمح بإجراء ينتج عنه قبول اللاجئين اليهود المطرودين من كل بلد يترتب عليه إنشاء حكومة موسوية في القدس مستقبلاً . وبما أن هؤلاء ليسوا من مواطني أمبراطوريتنا فيتحتم إرسالهم إلى أمريكا .

يرفض قبولهم وقبول غيرهم في البلاد بل يجب تهجيرهم إلى بلاد أمريكا بوضعهم في السفن دون أي تأخير وعرض الموضوع علينا بعد اتخاذ قرار خطير بشأن تفاصيله . لماذا نقبل في بلادنا من طردهم الأوروبيون المتمدنون وأخرجوهم من ديارهم ؟ لا محل لقبولهم ما دامت عندنا فتنة أرمنية . فنطلب إلى مقام الصدارة إتخاذ قرار عام في هذا الموضوع دون حاجة لعرض الموضوعات فيما بعد على أحد .

الفرمان الثاني - ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ هـ .

إلى اللجنة العسكرية السلطانية

بما أن قبول هؤلاء الموسويين ومنحهم الجنسية العثمانية وإسكانهم أمر ضار ، وبما أن هذا التسامح تنتج منه مستقبلاً إقامة دولة موسوية ، فيتعين عليه عدم قبولهم في البلاد ، وعلى اللجنة العسكرية أن تقدم على ضوء هذا بعرض القرار سريعاً على مقام الصدارة .

(١) نقلاً عن كتاب : جواد رفعت اتلخان : الاسلام وبنو اسرائيل ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ . غير منشور .

الفرمان الثالث - ٢٩ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ هـ

إلى اللجنة العسكرية السلطانية

. إن الدول التي تقدم إلينا إحتجاجات عتاب بحجة عدم قبول الموسويين الذين أخرجوا مطرودين من دول متمدنة ورفضت الدول الأخرى قبولهم ، لو أنها ترى في نفسها حق الإحتجاج فلتتقدم به إلى الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم . هؤلاء الموسويون أينما سكنوا ومهما اتخذ ضدهم من التدابير فإن الذي يلاحظ عليهم هو النزوح التدريجي إلى فلسطين مقصودهم الأصلي ليقموا فيها حكومة موسوية فيما بعد بتشجيع الأوروبيين وحمائيتهم لهم . وبما أنهم قوم لا يشتغلون بالزراعة والفلاحة وثابت عليهم أنهم سوف يضرون الأهالي مثلما أضروهم في البلاد التي طردوا منها . وكانوا يهاجرون قبلاً إلى أمريكا فإن الأنسب لهم أن يتوجهوا إليها أيضاً . ونطلب مذاكرة هذه النقطة في اللجنة العسكرية مذاكرة مستوفاة .

### ملحق رقم ( ٣ )

#### موقف السلطان عبد الحميد الثاني من الهجرة اليهودية إلى فلسطين<sup>(١)</sup>

إن لليهود نفوذاً في أوروبا أكثر من نفوذهم في الشرق ، لهذا فان دولاً أوروبية كثيرة أرادت التخلص من اليهود - العرق السامي - وأيدت هجرتهم إلى فلسطين . ولكنّ في دولتنا عدداً كبيراً من اليهود ، فاذا كنا نريد أن يستمر العنصر العربي الإسلامي (مسلمان عرب - Müslümen Arab) متفوقاً في فلسطين يجب أن لا نسمح بتهجير اليهود إليها . وإذا كان الأمر عكس ذلك وسمحنا لهم بالهجرة ، فانهم بفترة قصيرة سيسيطرون على الحكم ، وتصبح فلسطين تحت سيطرتهم ، ونكون بذلك قد قضينا بأيدينا على عنصر ديننا بالموت الأكيد .

إن زعيم الصهيونية مرتزل لم يستطع اقناعي بأفكاره . وقد يرى : « أن حل المسألة اليهودية (Yahudi Meselesi) ستنتهي يوم يستطيع اليهودي قيادة محرائه بيده » . وربما كان مرتزل على حق بالنسبة لشعبه ، فانه يريد أرضاً لهم ، ولكن نسي أن الذكاء وحده ليس كافياً لحل جميع المشكلات .

إن الصهيونية لا تريد أراضٍ زراعية في فلسطين لممارسة الزراعة فحسب ، ولكنها تريد أن تقيم حكومة ، ويصبح لها ممثلون في الخارج . انني أعلم أطماعهم جيداً ، وانني أعرض هذه السفالة (Saffik) لأنهم يظنونني انني لا أعرف نواياهم أو سأقبل بمحاولاتهم . وليعلموا أن كل فرد في أمبراطوريتنا كم يكن لليهود من الكراهية طالما هذه نواياهم ، وأن الباب العالي ينظر إليهم مثل هذه النظرة . وانني أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة في فلسطين لأنني لا زلت أكبر أعدائهم .

(١) نقلاً عن كتاب : السلطان عبد الحميد الثاني : خاطراتي السياسية .  
Sultan Abdül Hamit ; Siyasi Hatiratim, p. 60 — 61.

ملحق رقم (٤)

تعريب الجواز الاحمر الذي كان يفرض على اليهود الاجانب ان يستلموه لدى زيارتهم فلسطين بدل جواز سفرهم تبعاً للقوانين العثمانية التي صدرت عام ١٩٠٠<sup>(١)</sup>.

تذكرة إقامة تمنح للأجانب من قبل كومسيون يافا لمنع المهاجرين الموسويين (اليهود) وتحديد وتمييز مدة إقامتهم بثلاثة شهور . ويعمل بها ويحتفظ بها وبعد انقضاء هذه المدة يعتبروا ساقطين من الحكم المعمول به .

معاملات	مدة السياحة والإقامة شهر	تذكرة مرور الحامل للجواز وتاريخ ورود مكان الإعطاء	رقم حامل جواز السفر وتاريخه واسم مكان إعطائه الإقامة	المقصد السياحي	محل الورد	الصحة والتابعة	الأوصاف والأشكال والعلامات الفارقة	الاسم والشهرة
ان حامل الجواز المبين اعلاه والمرمى والمؤرخ يسلم له بالذات حين عودته وقد افهم ذلك علناً	ثلاثة شهور	//	١٩ حزيران -١٤٩١- جنوه مدينة ن وما جاورها	تجارة	جنوه	تاجر - من المانيا	متوسط رفيع حنطي شعره يتخلله شيب عمره ٥١ سنة	شوان بن سالون

عندما تطلبت هذه التذكرة من قبل مأموري الانضباط سئبرز ويعمل بها لمدة ثلاثة شهور للإقامة والسياحة في داخل أرض فلسطين . وفي نهاية هذه المدة سيُجبر الذين لم يفادروا فلسطين على الخروج بالقوة.

في ١٨ ربيع الأول سنة ٣١٩ - في ٢٢ حزيران سنة ١٩١٠ .

احمد حبيب من قبل رئيس مالية الرفا .

(١) نقل عن :

N. Mandel; Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914

ملحق رقم (٥)

رسالة وزارة الداخلية الى متصرف القدس وفيها تعليمات بمنع بناء الأبنية  
وبيع الاراضي للمهاجرين الاجانب - اليهود - حرصاً على عدم إثارة المشاكل  
ورود الفعل العربية في فلسطين (١).

Handwritten Arabic text, likely a letter or official document, with a vertical stamp on the right side that reads "195/1905". The text is mostly illegible due to heavy blacking out and poor scan quality.

(١) (١١) من : 195/2199, 2 Nov 1905, to O'Connell, Dickson to O'Connell, 2 Nov 1905, n. 1000

## تعريب الملحق رقم (٥)

رسالة وزارة الداخلية العثمانية رقم (١٦٢) إلى متصرف مدينة القدس،  
في ٣ شعبان ١٣٢٣ هـ - ١٩ ايلول (سبتمبر) ١٣٢١ رومي .

إنه بناء على التعليقات الصادرة ، يجب الاهتمام بعدم السماح للأجانب بإقامة أبنية كبيرة ، أو الشروع فيها أو محاولة إقامتها على أراضٍ يجب أن تبقى ملكيتها في حيازة المواطنين العثمانيين ؛ لأن من شأن ذلك إثارة المشاكل ، نظراً لقدم بعض الأجانب المهاجرين من ذوي جنسيات مختلفة ودخولهم إلى الأراضي الواسعة في الممالك السلطانية .

بناء على ذلك ، يفرض على أولي الأمر الإستئذان قبل عملية القيام بتسجيل بيع الأملاك الأميرية الفائضة عن حاجات المواطنين ، وذلك لعدم وجود قانون صريح حول مساحات الأراضي التي يجب التقدم لأمر الإستئذان لها . إلا أنه في حال تسجيل الأراضي البالغ مساحتها ٥٠٠ دونم ، وعند احتمال ظهور أقل مشكلة تظهر للجنة لدى التحقيق ، يجب أن لا يُقدم على عملية الإستئذان ، كما لا يباشر في أمر التسجيل .

وبناء على طلب متصرفيتكم الموقرة بالإستئذان بما يزيد عن تلك المساحة ، فقد قامت وزارة الأملاك والضرائب بالكتابة لمجلس الدولة ، وعلى أثر ذلك صدر قرار عن دائرة الحقوق يؤكد فيه أن الغرض من منع تملك المهاجرين الأجانب الذين لا يستوطنون إلا بالإرادة السلطانية السنية ، إنما هو لتجنب المشاكل الدائمة التي تترتب على إنشاء هؤلاء المهاجرين لأبنية جسيمة في أماكن يجب أن تكون ملكيتها للمواطنين العثمانيين .

ولما كانت المشاكل تنجم عن أمر الإستئذان - ملحوظة أيضاً - في تسجيل الأراضي البالغ مساحتها ٥٠٠ دونم فأقل ، ولما كان هذا الأمر غير موافق للحكمة المفهومة من الغرض الأصلي المذكور ، تقرر أن لا لزوم لاتخاذ تدابير أخرى غير التدابير المتخذة . فعلى ذلك نبلغ متصرفيتكم ضرورة تطبيق الحالة الحاضرة الراهنة . وكذا نبلغكم بأن الوزارة المشار إليها قد أحيطت علماً ، فتحررت الرسالة السامية هذه إلى القدس لإجراء اللازم ، مع العلم أن الحكم والتصرف لمن له الأمر .

تقرر إلى متصرفية القدس الشريف

( الامضاء )

ملحق رقم (٦)

المظاهرات التي قام بها اليهود مع غيرهم من القوميات في عام ١٩٠٨ بعد قيام الثورة ضد السلطان<sup>(١)</sup>.



(١) نقلًا عن : Revue du Monde Musulman, T. ٥, 1908.

## ملحق رقم (٧)

رسالة جمعية الاتحاد والترقي الى الصحيفة الصهيونية (Neue Freie Presse) لاشعارها بالثورة على السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٨. (١)

Très Hononré Monsieur,

C'est aujourd'hui le premier jour de la liberté. Le peuple entier (Turcs, Bulgares, Serbes, etc.) a célébré cette fête. Si le sultan ne tient pas compte de nos revendications, nous marchons sur Constantinople.

Enver

“Membre du Comité Ottoman d'Union et Progrès”

“Général d'Etat Major”

تعريب الملحق رقم (٧)

سيدي المحترم

هذا اليوم هو اليوم الأول للحرية . الشعب بأكمله ( اترك . بلغار ، صرب ، الخ . ) احتفل بهذا العيد . إذا كان السلطان لا يأبه لمطالبنا سنزحف إلى القسطنطينية .

انقر

عضو اللجنة العثمانية للاتحاد والترقي .

— جنرال أركان حرب —

(١) نقلاً عن : Revue du Monde Musulman, T. 5, (Paris 1908).

ملحق رقم (٨)

نص البرقية الداعية إلى عقد مؤتمر في خادم كوي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني . وهي موجهة إلى الشخصيات اليهودية والدونمة .

مستند رقم ١٠١٠

البلد	عدد كالات	عروب	عمل تاريخي	دفعه	روزنامه	طيران	ملاحظات
No du depoi	Nombre de mois	Groupe	Date du depoi	Mars	Mars	Voie	Indications non axes

مؤتمريه

أولاً : السيد محمد مستجير أولاً صبه جاهد و جاويد و رحمي بقانون و قره صو  
 فانذركم و ستمائة اول قولك كلكم اول ليدك كما في نيتك ايها تترنوا غار مكنونه طمأنينه  
 كند و لونه تبليغ جبال اول  
 ١٤٥  
 فائق  
 صلاح الدين  
 اميرالاي  
 حسن عزت

تعمير الملحق رقم (٨)

الرجاء إبلاغ البكوات حسين جاهد و جاويد و رحمي و قره صو افندي الذين علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين ، بضرورة القدوم إلى خادم كوي في أول قطار .  
 ٥ نيسان ١٣٢٥

القائم مقام	القائم مقام	اميرالاي ارکان حرب
جمال	صلاح الدين	حسن عزت

## ملحق رقم ( ٩ )

رسالة السلطان عبد الحميد الثاني من سلاطنتك الى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق يؤكد فيها ان سبب خلعك عن العرش إنما لرفضك الموافقة على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين .

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة ، وأتم التليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين أوالتابعين الى يوم الدين .  
اشبهو عرفتني من طريقتك عليه شاذليه شيخى وجوده روح وحياء ويرن وجملة نك افنديسى بولان الشيخ محمود افندى ابوالشامات حضرتلرنيه

رفع ايدىوزم مبارك اللربنى اوپرلك ودعالمربى رجايدرك سلام وحرمتلرني تقديمد نصكره عرض ايدرم كه . سنده حاليله شهر مايبك ، ايكينجى كوفى تاريخلى مكتوبى واصل اولدى صحت وسلامته وانم اولدى يقدردن دولايلا اسم حمد وشكر لرايتدم . افندم اوراوشا ذليه قراءتته ووطبعض اسنادليت الله لك توفيقيله كيخه وكوندور دوام ايدىوزم و بود طبه لرمى ادايه موفق اولدى يقدردن دولايلا اسم تعالى حضرتلرنيه حمد ايدرم ودعوات قلبيله كزه دانما همتامج اولدى نيمى عرض ايلرم . بومقدمه دن صكره ستوهم سنلدي ذات رشاديتنا هيلرنيه وذات ساحتبنا هيلرنيك اشالى عقول سايبه صاحب لره تاريخى برامانت اولارق عرض ايدرمكه . بن خلافت اسلاميه لي هنج برسند ترك ايتهدوم . انجني وانجني ( جون ترك ) اسيله معروف وشهور اولان اتحاد جمعيتك رؤساستك تفصيل و تهديدى ايله خلافت اسلاميه لي تركيه مجبور ايدلرم . براتحا دجيلر اراضى مقدسه ده فلسطينده زهو ديلر ايجون بروطن قومى تاسيسي قبول وتصديق ايتكلكم ايجون اسم ارلزنده دوام بر اعبار لبرنيه وتهديد لرنه : براتحا نطقيا بوتكليفى قبول ايدرم وبالآخرة يوزالى مليون التون انگلنز لبراسى ويره جكلىرى وهدايتلر



## تعريب الملحق رقم (٩)

قام بتعريب هذه الرسالة الشيخ احمد القاسمي  
مدير عام الاوقاف السورية السابق سنة ١٩٥٧

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول  
رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض  
الروح والحياة إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل  
يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامي ، أعرض انني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس  
من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمين .

سيدي : انني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً  
ونهاراً . وأعرض انني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب الساحة ،  
والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ : إنني لم أتخل  
عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء  
جمعية الإتحاد المعروفة بإسم « جون تورك » وتهديدهم - اضطررت واجبرت  
على ترك الخلافة الإسلامية . إن هؤلاء الإتحاديين قد أصروا وأصروا عليّ  
بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين -  
ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف . وأخيراً وعدوا  
بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً ، فرفضت هذا

التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي : إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والحلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلاطيتك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن أُلطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين . وقد كان بعد ذلك ما كان . ولذا فأنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال . واعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع المهم وبه أختتم رسالتي هذه .

ألثم يديكم المباركتين وأرجو واسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي .  
سلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء

يا استاذي المعظم

لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم  
علماً ، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين  
عبد الحميد بن عبد المجيد

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩

ملحق رقم (١٠)

كانت التدابير المتخذة بحق السلطان عبد الحميد في معتقله بقصر « بكلربكي » شديدة وصارمة ، إذ عمد الاتحاديون في كل مساء الى استبدال كلمة السر التي لا يجوز لسوى عارفيها دخول القصر والخروج منه (١).

عسكر	كلمة السر	فدائنا	كلمة السر
اقراء	١/١٥	عبد الحميد	كلمة السر
بايريد	١/١٦	بنه قوت	كلمة السر
ابرمه	١/١٧	اكدا	كلمة السر
تارود	١/١٨	بارايرين	كلمة السر
بومار	١/١٩	سنان	كلمة السر
لبيب	١/٢٠	انجرا	كلمة السر
عربي	١/٢١	بشكفة	كلمة السر
لم	١/٢٢	بوشه	كلمة السر
سلطان	١/٢٣	بانبا	كلمة السر
عظائم	١/٢٤	بدرنه	كلمة السر
بكتفد	١/٢٥	نام	كلمة السر
ماريه	١/٢٦		

(١) نقلًا عن : دفتر رئيس حراس السلطان في قصر « بكلربكي » .

ملحق رقم (١١)

يظهر هذا الرسم شعار جمعية الاتحاد والترقي - معنونا بعبارة  
بادشاهم جوق يشا أي عاش مولانا السلطان - ، وهو نفسه شعار  
الماسونية ، قارن بالملحق رقم (١٢)



قطعة نقود تركية صدرت في أوائل عهد الاتحاديين وتحمل شعارات الماسونية :  
حرية - مساواة - عدالة .

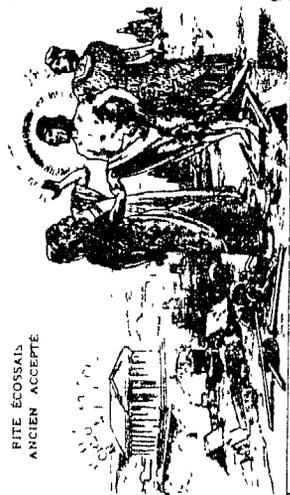


ملحق رقم (١٢)

صورة شهادة ماسونية اعطتها عمدة العشيرة من ذوي الطقس الاسكتلندي الى احد السوريين في ١١ آذار (مارس) سنة ١٩٠٨ . ويلاحظ في هذه الشهادة شعارات الماسونية وهي نفسها شعارات جمعية «الاتحاد والترقي» .

UNIVERSI
INGENTIS

TERRARUM ORBIS ARCHITECTONIS AD GLORIAM
EGALITE

RITE ECOSSENSIS  
ANCIEN ACCEPTE


**THE** Federal Council of the **Grand Lodge of France** certifies that the undesignated was regularly initiated in a just, perfect and regular Lodge of Freemasons, and raised to the sublime degree of a Master Mason on the date stated hereon and that he is duly registered in the books of the Grand Lodge accordingly.

This certificate shall not entitle any brother to admission to any Lodge without examination.

SECRETARIS DE TEMPLARIIS

**LE CONSEIL FEDERAL**  
**La Grande Loge de France**

certifie que le T. C. P. dont le nom est appose ci-contre a été régulièrement initié au grade de la Franc-Maçonnerie dans une Loge régulière et parfaite, qu'il a complété ses trois degrés symboliques aux usages indiqués d'autre part.

En conséquence tous les degrés réguliers de Maître sont énumérés ci-dessous et l'adhésion non pendue est soumise à la bienveillance du Maître de la Loge.

Donné le 10 de Mars, 1908

Le Grand Secrétaire Général.



FRATERNITE
EGALITE

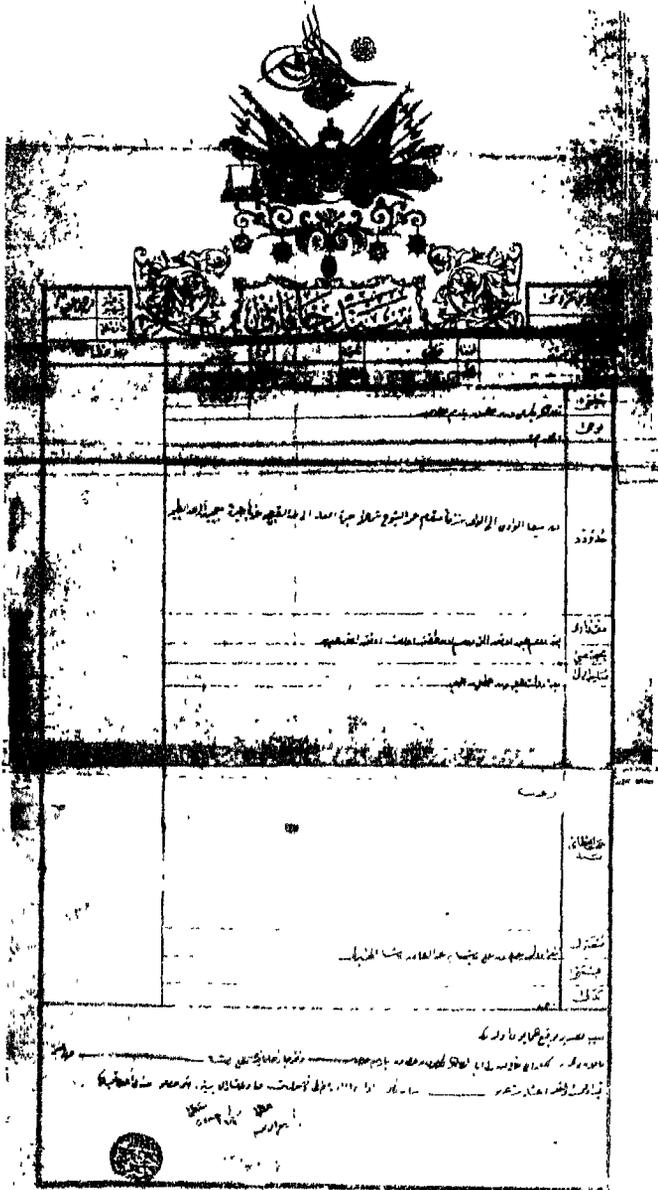
**FUGIATUM** summe quilibet erit concilius fratrum fratrum, cujus nomen hic inscriptum est quousque hic presertim litteris nomen suum subseriptum architectonice mactis mysticis initiationis rite in ipso perperone in tempore rite quousque sibi mentis facto

Inde sequitur ut omnes Fratres universim jubentur Fratres qui sibi Magistri diplomate arduum bene accipere et ergo cum eadem Mensuris uti quibus inter eos videtur liberos sibi daret



ملحق رقم (١٣)

سند خاقاني يثبت بيع الاراضي الاميرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(١)</sup>



(١) نقله من مجموع مديرة الوثائق التاريخية في دمشق - غير مصنف.

ملحق رقم (١٤)

سند خاقاني يثبت بيع الاراضي الاميرية في عهد السلطان محمد رشاد (١)

خاقان خان

ميسر



عدد نقذ	عدد شلا	عدد او قرا	شاه ۵۸۴
------------	------------	---------------	------------

شماره رقم اول	شماره رقم دوم
------------------	------------------

رقم	عنا	مطابق	الوقت	ب	عالم
١	خاکی	نصف	نصف	نصف	نصف
٢	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٣	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٤	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٥	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٦	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٧	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٨	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
٩	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف
١٠	نصف	نصف	نصف	نصف	نصف

Handwritten marginal notes on the left side of the table, providing additional details or commentary on the entries.

(١) در این مجموعه سند در تاریخ ۱۲۹۶ در دمشق -

ملحق رقم (١٥)

نماذج من احصاء عدد نفوس ألوية وأقضية - ولاية بيروت القسم الجنوبي - (١)

١ - احصاء نفوس عام ١٨٩٦

- ١ - لواء بيروت : ١٨٦ ٦٣٩ نسمة ويضم أقضية : بيروت ، صور ، صيدا ، مرجعيون .
- ٢ - لواء عكا : ١٣٨.٨٧٣ نسمة ويضم أقضية : عكا ، حيفا ، الناصرة ، طبريا ، صفد .
- ٣ - لواء نابلس : ١٣٧ ٥١٨ نسمة ويضم أقضية : نابلس ، جنين ، بني صعب .

٢ - احصاء نفوس قضاء نابلس عام ١٣٢٧ هـ

المنزب	ذكور	أناث
إسلام	١٠ ١٠١	١٠ ٠٢٧
روم	٢١٨	٢٠٩
لاتين	٠٥٨	٠٥٠
بروتستانت	٠٩٣	٠٨٧
سامري	٠٩٤	٠٦٦
يهودي	٠١٣	٠٦٦
المجموع	١٠ ٦١٧	١٠ ٤٥٥ = ٢١ ٠٧٢ نسمة

٣ - احصاء نفوس قضاء عكا ١٣٢٥ - ١٣٣١ هـ

المنزب	عام ١٣٢٥ هـ	عام ١٣٣١ هـ
إسلام	٢٨ ٢٥٦	٣٢ ٢٤١
روم	٣ ٦٤٨	٤ ٠٠٠
كاثوليك	٤ ٠٩٧	٤ ٣٦٧
بروتستانت	٣٧٣	٣٣٤
لاتين	٢١٢	٢٧١
يهود	١٣٠	١٠٥
أرمن	٤	٤
المجموع	٣٦ ٧٢٠	٤١ ٣٢٢

(١) نقلا عن كتاب : ولاية بيروت القسم الجنوبي - ج ١ .

٤ - احصاء نفوس قضاء صفد في أواخر القرن التاسع عشر

عدد النفوس	الذهب
٢٢ ٧٤٧	إسلام
٦ ٠٧٩	يهودي
٢ ٠٣٧	كاثوليك
١ ٠١٩	ماروني
٢٣٠	أرثوذكس
٣	لاتين
٣٢٦١٣٧	المجموع

٥ - احصاء نفوس قضاء حيفا عام ١٣٢٧ هـ - ١٣٣٢ هـ

عام ١٣٣٢ هـ	عام ١٣٢٧ هـ	الذهب
٢٣ ٨٢٣	١٩ ٢٤٤	إسلام
١ ١١٧	٩١٤	يهودي
٣ ١٢٤	٢ ١٠٩	كاثوليك
٨٦٨	٧٨٢	روم
٢٤٩	٢٢١	لاتين
١٩٦	١٢٥	ماروني
٥٤	٤٥	بروتستانت
٦٨٦	?	يانجي إسلام
٦٢٠	?	يانجي غير إسلام
٣٠ ٧٣٧	٢٣ ٤٦٠	المجموع

## ملحق رقم (١٦)

### أوضاع المستعمرات اليهودية في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٧)<sup>(١)</sup>

زار الأب «لامنس» فلسطين في عام ١٨٩٧ بعد أن ازدادت الأنباء في الصحف التركية عن الهجرة اليهودية وذلك للإطلاع على أحوال المستعمرات اليهودية . وقد استقى معلوماته كشاهد عيان ومن مجلة «الجمعية الفلسطينية» وذكر بأن المستعمرات اليهودية في فلسطين هي خمس : مستعمرة يافا وضواحيها ، مستعمرة القدس الشريف وضواحيها ، مستعمرة صفد وبلاد بشارة ، مستعمرة حيفا وملحقاتها ، مستعمرة حوران وعبر الأردن .

#### ١ - مستعمرات يافا وضواحيها

أنشأت الجمعية الروسية «مساعدة الفلاحين والصناع اليهود في فلسطين والشام» لجنة في يافا عام ١٨٩١ ولّت تدبيرها المهندس «زيب تيومكين» وغاية هذه اللجنة النظر في أمور المهاجرين الإسرائيليين وتساعدهم أديباً ومادياً في ابتياع أراضٍ واسعة يقوم باستئجارها الأفراد أو الجماعات منهم . والجمعية الروسية المذكورة ليست سوى فرع من جمعية أخرى يهودية ممتدة في بلاد كبيرة تدعى «أحباء صهيون» .

عدد اليهود في يافا ينيف على ٦٠٠٠ ، لهم محلة واسعة يدعونها المنشية . وفي ضواحي يافا مستعمرات أخرى هذه أسماؤها .

١ - «منزل إسرائيل» ... منشئها «شارل نتر» (Ch. Netter) سنة ١٨٧٠ كمكتب زراعي ويتخرّج فيه زهاء ستين شاباً من اليهود على الفنون الزراعية .

٢ - «عيون قارة» وفي العبرانية «رؤوس صهيون» [ريشون لوزيون] وهي مستعمرة يهودية باشر بها سنة ١٨٨٢ ستة إسرائيليين من الروس ، ثم دخلت في حنى البارون ادموند روتشيلد .

(١) ملخصاً عن : مقال للأب هنري لامنس في مجلة المشرق ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٩ العدد ٢٣ .

٣ - « ملك راوبين » وهو وادي حنين والفضل في إنشاء هذه المزرعة لرباني اسمه « راوبين » كان حاخاماً في « خرشنة » (Cherson) وهي تحت نظارة لجنة يافا الروسية .

٤ - « خربة ديران » وفي العبرانية « السهول » وتقع بالقرب من بلدة الرملة ، وهي مستعمرة أحدثتها جمعية أعيان اليهود الروسيين سنة ١٨٩٠ .

٥ - « محطة عاقر » ويقال لها ( عكرون ) وهم يدعونها « تذكار بيت الله » وهي جنوب غربي الرملة . وهي أيضاً من مشروعات البارون روتشيلد سنة ١٨٨٣ .

٦ - « قطرا » من منشآت « أحياء صهيون » في سنة ١٨٨٤ ، موقعها على بعد ساعة من عكرون المذكورة . وكانت الغاية من إنشائها إعانة بعض الدارسين الروسيين المهاجرين من روسيا ، حتم عليهم أن يجرّدوا أنفسهم للفلاحة .

٧ - « قسطينة » وتُعرف باسم ( بنرطوبّا ) أنشأها روتشيلد سنة ١٨٨٨ وخصصها ليهود بستارابيا .

٨ - « أم لبيش » وتُعرف باسم ( ملبس ) وفي اصطلاح اليهود « فتح تقوه » وقد نزلها يهود القدس منذ سنة ١٨٧٨ فلم يستحسنوا هواءها ، ثم استوطنها المهاجرون الروس سنة ١٨٨٢ تحت نظارة جمعية « أحياء صهيون » .

## ٢ - مستعمرات القدس الشريف وضواحيها

١ - مستعمرة « بيت ناان » أسسها السير مونتفيوري عند باب صهيون في القدس ، وقد خصصت ليهود شمال أوروبا ( الأشكنازيم ) .

٢ - « بين موسى » أسسها أيضاً السير مونتفيوري في نفس المنطقة الأولى ، وقد خصصت ليهود جنوب أوروبا ( السفارديم ) .

ولمستعمرات القدس أحياء عديدة أقدمها :

« نحلة شبع » أنشئ سنة ١٨٦٩ ، « ابن يعقوب » أي ( صخرة يعقوب ) أنشئ سنة ١٨٧٠ ، « مساكن إسرائيل » أنشئ سنة ١٨٧٦ ، « مذكرة موسى » ١٨٨٠ ، « أهل موسى » أي ( خيمة موسى ) أنشئ سنة

١٨٨٣ ، « سكوت شلوم » أي ( مساكن السلام ) ١٨٨٧ ، « بيت  
يهوذا » ١٨٨٨ ، « شعرفنا » أي ( حجر الزاوية ) ، « بيوت تيمين »  
١٨٩٠ وقد أسس هذا الحي الأخير لليهود المهاجرين من اليمن .

### ٣ - مستعمرات صفد وبلاد بشارة

أنشئت في بلاد صفد وبشارة عام ١٨٩١ جمعية تدعى « هجليليم » أي  
( الجليلين ) تسعى في اقتناء الأرزاق ليمتلكها اليهود . أما مستعمرات  
اليهود في بلاد صفد فهي :

- ١ - « روش فنا » أسست عام ١٨٨٢ .
- ٢ - « عين الزيتون » ابتاعها اليهود عام ١٨٩٠ .
- ٣ - « مستعمرة محنايم » وهي أخصب قرى بلاد بشارة ، وتقع بين صفد  
وبحيرة الحولة .
- ٤ - « مستعمرة جسر الأردن » المعروف بجسر ( بنات يعقوب ) .
- ٥ - « مشمر هيردن » المعروفة باسم ( حراسة الأردن ) .
- ٦ - « خربة زبيد » ابتاعها اليهود الروس عام ١٨٨٣ .

### ٤ - مستعمرات حيفا وملحقاتها

- ١ - « مستعمرة زمار » اشترتها شركة روسية عام ١٨٦٢ .
- ٢ - « مستعمرة خضيرة » اشترتها أيضاً شركة روسية عام ١٨٩٠ .
- ٣ - « ضيعة كفرعنا » تملكها لجنة « أحياء صهيون » عام ١٨٩١ .
- ٤ - « مستعمرة أبا شوشة » وتخص اليهود القدسين برغيم (Bergheim)  
وهم أصحاب مصرف في أورشليم . ولكن يقوم بشؤون هذه الأراضي  
فلاحون بلديون يؤدون ربع غلاتهم لأصحاب الملك .

### ٥ - مستعمرات حوران وعبر الأردن

إن أملاك اليهود في حوران أوسع من مقاطعة كبرى من مقاطعات  
الشام ، ولجنتهم الفلسطينية في باريس تمكنت في عام ١٨٩٢ من ابتياع  
١٢٠٠٠ هكتار في جوار قرية شيخ سعد . وحاول اليهود شراء أراضي  
في بلاد جلعاد ومؤاب عبر الأردن إلا أن الدولة السنية لم تلب نداءهم ،  
فذهبت آمالهم أدراج الرياح .

ملحق رقم (١٧)

رسالة تأييد الى هرتزل عام ١٨٩٧ من الجمعية اليهودية في مصر<sup>(١)</sup>

«Barkohba»

Cairo — Egypte

Fondée le 1<sup>er</sup> Adar 5657

Février 1897

Siège Central

Monsieur Theodor Herzl [Herzl]

Rédacteur de la «Neue Freie Presse»

Vienne

Monsieur cher corrégionnaire en votre Etat Juif.

Il y a plus d'une année que le «Carmel» a été non seulement le 1<sup>er</sup> à saluer votre entrée solennelle dans les rangs sionistes, mais encore à encourager votre projet aussi génial que patriotique. Vous savez Monsieur, que c'était à [en] Bulgarie, que vous avez obtenu votre 1<sup>er</sup> succès, aujourd'hui encore la plupart de vos partisans, sont les sionistes de la Bulgarie.

Eh bien, Monsieur, vous serez heureux d'apprendre la fondation au Caire, à force de patience, de persévérance et d'activité, d'une société patriotique Sioniste «Barkohba» dont le programme et [est] celui qui a été tracé par le «Carmel».

Veillez, Monsieur, nous vous prions, nous tenir au courant de tout ce qui se passe dans le monde Sioniste à Vienne en même temps de nous faire parvenir votre brochure «L'Etat Juif» traduction française s'il est possible.

Vive «L'Etat Juif»

Veillez agréer Monsieur l'assurance de nos sentiments distingués. avec nos chaleureuses salutations de Sion.

Le Secret.

Le Presid.

Joseph Leibovich

J. Harmalin

Le Caire (Egypte) le 8 avril 1897.

---

(١) نقل عن : J. Landau; Jews in Nineteenth Century Egypt

## تعريب الملحق رقم (١٧)

باركوبا  
القاهرة - مصر  
تأسس في أول آذار ١٩٥٧  
شباط (فبراير) ١٩٩٧

السيد تيودور هرتزل

محرر صحيفة «Neue Freie Presse»

سيدي ، شريكي العزيز في دولتك اليهودية .

منذ أكثر من سنة لم تكن « كرمل »<sup>(١)</sup> (Garmel) الأولى فحسب في  
تحية احتفال دخولك في صفوف الصهيونية ، بل شجعت أيضاً مشروعك  
الذي تميز بالعبرية كما بالوطنية . إنك تعلم يا سيدي انك حصلت على  
نجاحك الأول في بلغاريا ، والآن أيضاً فان معظم مؤيديك هم بلغاريون .  
حسنًا ، سيدي ، ستسر عندما تعلم بتأسيس مؤسسة صهيونية « باركوبا »  
(Barkohba) - بعد صبر ومثابرة ونشاطات عدة - وبرنامجها هو المخطط  
له من قبل « كرمل » .

نرجو منك سيدي ، إعلامنا عما يجري في العالم الصهيوني في فيينا .  
وفي الوقت نفسه نرجو ان ترسل لنا كراسك « الدولة اليهودية » مترجمًا  
إلى اللغة الفرنسية إذا كان ذلك ممكنًا .

عاشت « الدولة اليهودية » .

تفضل بقبول ثقة مشاعرنا المميّزة ، مع حرارة تحياتنا لصهيون .

الرئيس  
ج. هارمالين

السكرتير  
جوزف ليوبوفيتش

القاهرة - مصر - ٨ نيسان (ابريل) ١٩٩٧ .

(١) صحيفة صهيونية .

## ملحق رقم (١٨)

رسالة هرتزل الى يوسف الخالدي  
في ١٩ آذار (مارس) ١٨٩٩<sup>(١)</sup>

يا صاحب السعادة

أدين للسيد « زادوك كان » (Zadok Kahn) بسروري ، حيث أتاح لي قراءة رسالتك له . دعني أخبرك بأن مشاعر الصداقة التي أبديتها تجاه الشعب اليهودي أثارت لدي التقدير العميق .

كان اليهود ولا زالوا وسيبقوا من أحسن أصدقاء تركيا ، منذ أن فتح السلطان سليم أبواب إمبراطوريته لليهود المضطهدين في اسبانيا . ولا تتكون هذه الصداقة من الكلمات فحسب ، بل نحن جاهزون لتحويلها إلى أفعال ومساعدات للمسلمين .

إن الفكرة الصهيونية - التي أنا خادمها المتواضع - ليس لديها مشاعر العداة تجاه الحكومة العثمانية ، بل بالعكس من ذلك تماماً ، فهذه الحركة مهمة سني إيجاد موارد جديدة للإمبراطورية العثمانية عن طريق السماح لعدد محدود من اليهود بالهجرة ، محضرين معهم ذكاهم وقدراتهم المالية ومشاريعهم الإنمائية للبلد . ولا يشك أحد بأن الصالح العام للبلد سيكون ذو نتائج إيجابية . ومن الضروري فهم ذلك وتعميم معرفة ذلك لكل إنسان . وكما قلت جنابكم في رسالتكم للسيد « رابي » بشكل واضح أنه لا يوجد خلف اليهود قوة مقاتلة ، ولا حتى هم بطبعهم شعب محب للحرب ، وهم عامل سلام كامل وأمناء وقنوعين جداً إذا تركوا يعيشون بسلام ، ولهذا لا يوجد شيء على الإطلاق يثير الخوف من هجرتهم .

مشكلة الأراضي المقدسة :

لا يفكر أحد بلس هذه الأماكن - كما قلت وكتبت مرات عديدة - لقد فقدت هذه الأماكن وللأبد ملكيتها الكلية لدين واحد ، لمرق واحد ،

(١) نقلًا عن : W. Khalidi ; (Editor) From Haven to Conquest.

لشعب واحد . وستبقى هذه الأماكن مقدسة لكل العالم ، للمسلمين وللمسيحيين ولليهود . والسلام العالمي الذي يتمناه كل البشر سيبقى المثال المحتذى في الوحدة الأخوية في هذه الأماكن المقدسة . وجنايكم ترون صعوبة أخرى تتمثل في مصير السكان غير اليهود في فلسطين . ولكن من يفكر في طردهم بعيداً عن فلسطين ؟ وجودهم وثروتهم سنضعافها بوجودنا وثرواتنا . هل تعتقد حضرتكم بأن العربي الذي يملك أرضاً أو بيتاً في فلسطين يقدر ثمنه بثلاثة أو أربعة آلاف فرنك سينغضب إذا ارتفع سعر أرضه في فترة قصيرة ؟ . سترتفع إلى خمسة أو عشرة أضعافها في شهور قليلة ، وفوق ذلك سيحصل هذا بالضرورة عند وصول اليهود إلى فلسطين . هذا ما يجب أن يعترف به سكان فلسطين ، لأنهم سيكسبون أخوة أذكيا ، كما سيكسب السلطان مخلصين سينعشون الولاية التي هي أرضهم التاريخية .

عندما ينظر الواحد منا من هذه الزاوية - وهي صحيحة - سيكون صديقاً للصهيونية عندما يكون صديقاً لتركيا .

أمل يا صاحب السعادة أن تكون هذه التوضيحات القليلة مثيرة لمشاعر العطف عندك تجاه حركتنا . لقد قلت « زادوك » (Zadok) بأنه من الأفضل لليهود أن يذهبوا إلى مكان آخر ، هذا ممكن حدوثه عندما لا تفهم تركيا الفوائد الضخمة التي ستقدمها حركتنا لها . لقد شرحنا أهدافنا وسياستنا باخلاص وولاء . لقد قدمت لجناب السلطان بعض المطالب العامة وأنا سعيد لاعتقادي بأن ذكاه الحاد سيجعله يقبل الفكرة من حيث المبدأ ، والتي من الممكن مناقشة تفاصيلها التنفيذية فيما بعد ، وإذا رفضها سنبحث ، واثق بأننا سنجد ما نبتغي في مكان آخر ، ولكن عند ذلك ستكون تركيا قد خسرت الفرصة الأخيرة لتنظيم اقتصادها وإعادة النشاط إلى اقتصادها المنهار . وتذكر بأن من يقول لك هذه الأشياء هو صديق حميم للأتراك .

وتقبل حضرتكم أعلى آيات التقدير

د . تيودور هرتزل

## ملحق رقم (١٩)

هرتزل في الاراضي المقدسة ومصر<sup>(١)</sup>



هرتزل مع مجموعة من اليهود في مستعمرة رحبوت في الاراضي المقدسة عام ١٨٩٨



هرتزل في استقبال الامبراطور عليوم الثاني في مستعمرة مكفا - اسرائيل عام ١٨٩٨

(١) نقلًا عن : A. Chouraqm, Théodor Herzl Inventeur de L'Etat d'Israel.



هرتزل مع مجموعة من اليهود على متن إحدى السفن  
باتجاه الأراضي المقدسة عام ١٨٩٨



هرتزل في زيارة ابو الدول في مصر

## ملحق رقم (٢٠)

### شواهد على دور النظام الضرائبي العثماني ودور الربا اليهودي في بيع الممتلكات العربية في فلسطين

#### ١ - النظام الاداري والضرائبي العثماني :

من دائرة إجراء محكمة بداية القدس الشريف<sup>(١)</sup>

قبلا وضع بالمزاد العلني جميع الدار الكائنة في قرية لفتا المعلومة المشتملات والحدود ملك حمدان عوض نصار من أهالي القرية المذكورة لاستيفاء ما يطلب للخزينة العامرة من باقي بدل التزام أعشار قرية سبسلية عن سنة ٣٠٩ بموجب سند مصدق من محررية المقاولات وإعلام صادر عن محكمة بداية القدس الشريف مؤرخ في ١٥ تشرين أول سنة ٣١٢ تحت نومرو ٥١ مبلغ على الأصول محتوى الحكم بالإجراء الموقت . وقد تقررت الدار المذكورة عهدة علي أحمد الغولة بكفالة الحاج صالح قاسم كلاهما من لفتا بثمن قدره ستة آلاف غرش صاغ . ولانقضاء المدة النظامية سحب عليها القرار داهه من قبل الرياسة العلية على أن يقبل الضم أقله بالمائة خمسة مسدة إحدى وثلاثين يوماً . فعلى الراغبين مراجعة دائرة الإجراء والدلال باشي محمد أبو عيد بالمدة القانونية اقتضى إعلان الكيفية .

في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٤ ، في ٢٩ مارت سنة ٣١٣

#### ٢ - رهن الأملاك العربية ودور الربا اليهودي في بيع الممتلكات<sup>(٢)</sup>

من مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس الشريف قد صار طرح جميع الدار الواقعة بقصبة بيت لحم التابعة لواء القدس المعلومة الحدود المباعة بيع بالوفا مع الوكالة الدورية بمبلغ خمس وستون ليرة فرنساوي بموجب السند النظامي الصادر من مأمورية الدفتر الخاقاني بالقدس نومرو ١ من دفتر تشرين اول سنة ٣١١ من طرف حنا بن عبدالله ابراهيم حقمان التلحمي إلى الخواجه

(١) ثمرات الفنون ، ١٩٠ نيسان (ابريل) ١٨٩٧ العدد ١١٢٥ .

(٢) ثمرات الفنون ، ١٧٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٨ العدد ١١٦٤ .

شمويل ويزمن بن حاييم ويزمن النمساوي ، للمزايدة لأجل بيعها لمن تتقرر  
لمهدته لإيفاء الذمة المذكورة وذلك بناء على إنتهاء المدة المقررة بالسند  
المذكور وطلب رب المال ذلك غب إخطار المدينون المرقوم ولأجل أن  
يكون ذلك معلوماً لدى من يرغب من العموم شراء الدار المذكورة صار  
نشر هذا الإعلان من مأمورية الدفاتر الحاقاني بالقدس الشريف .

في ١٦ كانون اول ١٣١٣

## ملحق رقم (٢١)

مقال نجيب نصار «الأعشار والخزينة والأهالي» في فلسطين<sup>(١)</sup>

إن الفلاح يئن تحت نير ظلم الأعشار الثقيل والخزينة لا تستوفي حقوقها منه على التمام في بلدان كثيرة . هذه مسألة فيها نظر ، يشتغل عشرة شهور في السنة ، ونحو من ثلاث عشرة ساعة كل يوم هو وامرأته وبنوه ، ويستدين الذرة ليقنات بها بدلاً من الخنطة ، ويصرف ثمن كسوة عياله من ماله . فلو رأيت يحرث منكسراً في أرض تاكل أشواكها رجله الخافية ، ويزرع في يوم هبت عواصفه وهطلت أمطاره فبلت بدنه العريان ، ويحصد في فصل اشتد حره فأحرقه ، وكنت من محبي الإنسانية لبكيت حزناً عليه وأنكرت نفسك في المحاماة عنه .

... حقوق الخزينة وجنى الفلاح مستهلك في بطون قوم لا يعرفون الشبغ ، أولئك هم المستبدون ، يوجد منهم واحد أو أكثر في كل قضاء ، يحتكرون الأعشار فيستوفونها أحماساً وأرباعاً ويضيفون عليها هوالك وروابط ولقاطاً وأرضية ، وما بقي يأخذونه بدل رشوة دفعوها عنه كذباً أو بدل دعوى تخليصه من دعوى لفقوها عليه بالاتفاق مع المأمورين وما شاكل ذلك من المنكرات المغضبات والعياذ بالله .

شكا الفلاح امره مراراً فجزوي على شكواه واحتج فضرب لأنه فتح فاه ، فسكت سكوت المقهور ... فإذا هو عصي أوامرهم تهدده بالدعاوى الزوربة ، ثم لو رفع ذلك المزاد أمره للحكومة لقي محاولة والتواء يجب إليه ترك حقوقه .

قال لي أحد أعوان حافظ باشا من جنين : لا نربح كثيراً من التزامات جفتلك بيسان ، أما أرباحنا في قضاء جنين فتتراوح بين الثانية والعشرة آلاف ليرة في السنة ، وقدم لي مثلاً ثلاث قرى لا يزيد التزامها عن العشرين ألفاً وأرباحها تربو على الألف ليرة . في قضاء طبريا أربع قرى

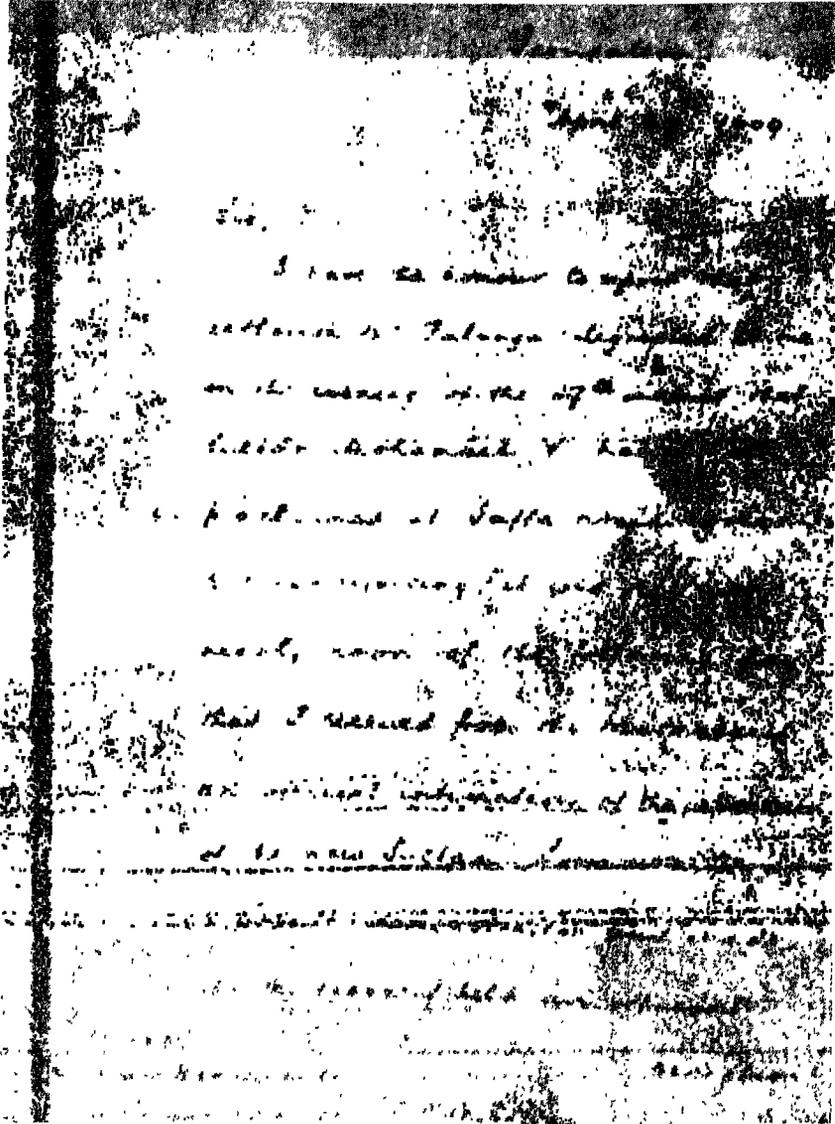
(١) ثمرات الفنون ، ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ العدد ١٦٧٩ .

للأمير علي باشا بدل أعشارها كلها لا يزيد كثيراً على نصف بدل حطين ،  
ومساحة أراضي هذه تساوي أراضي واحدة من الأرباع قرى. وهكذا قل  
في سارونة قرية سعيد بك الفاهوم وفي القرى التي يلتزمها مع كومبانية  
اليهود ... وجاءنا بعض أهالي قرية سمخ يتظلمون من اتفاق مشايخهم مع  
الملتزم على إعطائه عشرين مداً من الحبوب عن كل فدان رسم الهالك ،  
فحردنا لهم عريضة لقومسيون الجفتلك بالشام والأمل أن يعاملوا بالعدل .  
أمثال هؤلاء المستبدين يضيعون حقوق الخزينة ويمنعون ثروة الشعب ، ومن  
الغريب أنهم ما زالوا يحاولون السير على طرقهم القديمة .



ملحق رقم (٢٣)

تقرير عن الابتهاجات الانفغالية في فلسطين بمناسبة اعلان محمد الخامس سلطاناً على الدولة العثمانية<sup>(١)</sup>.



(١) نقلًا عن : Blesh to Fowther, 29 April 1909, in F.O 195/2321.

# مصادر البحث



## مصادرُ البحث

أولاً: وثائق ومخطوطات غير منشورة:

- ١ - وثائق وزارة الخارجية البريطانية الموجودة في لندن: (Public Record Office) وهي مصورة على ميكروفيلم في مركز الأبحاث (Research Centre) التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية - بيروت ومصنفة على النحو التالي:

- A - Reports and Correspondences between British Consuls in the Ottoman Empire and the British Embassy in Constantinople: No. F.O. 195.
- B - Reports and Correspondences between Foreign Office in London and British Consuls in Palestine and Constantinople: No. F.O. 78.
- C - Reports and Correspondences between Foreign Office in London and British Embassy in Constantinople: No. F.O. 371.

٢ - مخطوطات المكتبة الظاهرية - دمشق:

- أ - أعظم المآثر السلطانية السكة الحديدية الحجازية - الشامية، إنشاء محمد عارف الحسيني عام ١٣١٨ هـ. مصنف تحت الرقم ١٠٨١٠.
- ب - سلاطين آل عثمان، جـ ٢٣ الخاص بالسلطان عبد الحميد الثاني مجهول المؤلف. مصنف تحت رقم ١٠٧٠٤.

### ٣ - وثائق مديرية الوثائق التاريخية - دمشق :

بعض سندات بيع الأراضي في فلسطين . القسم الخاص في المديرية ، وهي غير مصنفة .

### ٤ - وثائق دار الكتب الوطنية - بيروت :

أ - مخطوط : صراخ البري في بوق الحرية ١٨٩٠ - ١٨٩١ ، تأليف حبيب فارس مصنف تحت الرقم ٦٥٢ (معلومات وآراء غير منشورة في الكتاب المطبوع في مصر ١٨٩١ - ثلاثة أجزاء - تحت عنوان صراخ البري في بوق الحرية والذبائح التلمودية) .

ب - مخطوط : القول الصادق في الأستاذ نعوم فائق ، تأليف الكونت فيليب دي طرزي ، مصنف تحت الرقم ١٢٨ (معلومات عن بعض الأقليات في الدولة العثمانية) .

### ٥ - كتاب : الاسلام وبنو اسرائيل :

تأليف جواد رفعت أتخان ، تعريب يوسف أور الكيراي ، بدون تاريخ . مطبوع باللغة العربية على الآلة الكاتبة ، غير منشور وغير مجلد . وهو من بين مجموعة مفتي فلسطين المرحوم الشيخ أمين الحسيني ، ويضم وثائق وفرمانات سلطانية خاصة باليهود وفلسطين تنشر للمرة الأولى .

### ثانياً - وثائق ومذكرات منشورة :

١ - Hyamson, Albert; The British Consulate in Jerusalem in Relation to the Jews in Palestine 1838 - 1914, 2 vols. (London 1939 - 1941).

٢ - مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، Sultan Abdül.Hamit, in, Hatira Defteri. Sadelestiren ve Yavina Hazirlayan (Ismet Bozdog) Tercüman Gazetesi 1974.

٣ - السلطان عبد الحميد الثاني : خاطراتي السياسية : Sultan Abdül Hamit, Siyasi Hatiratim, Hareket Yayinlari, (Istanbul) 1974.

٤ - ملف وثائق فلسطين، ج ١ (٦٣٧ - ١٩٤٩) - مصر. بدون تاريخ.

٥ - يوميات هرتزل، إعداد أنيس صايغ، تعريب هيلدا صايغ، بيروت ١٩٧٣.

ثالثاً - رسائل علمية وناقية منشورة: (ماجستير ودكتوراه).

١ - أرنت رامزور: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة صالح أحد العلي، قدم له وراجعته نقولا زيادة، بيروت ١٩٦٠.

٢ - توفيق برو: العرب والترک ١٩٠٨ - ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٠.

٣ - خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، بيروت ١٩٧٣.

٤ - وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، القاهرة ١٩٧١.

٥ - Mardin, Şerif; The Genesis of Young Ottoman Thought (New Jersey, 1962).

رابعاً - مقالات منشورة:

١ - سعيد الأفغاني: كانت الصهيونية هي خالعة السلطان ومقوضة المملكة العثمانية، مجلة العربي ١٩٧٢، العدد ١٦٩.

٢ - لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرسمون، مجلة المشرق العدد ٥ و٨، بيروت ١٩١١.

٣ - محمد روجي الخالدي: أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة، المنار م ١١، ج ١١، ١٩٠٨، الهلال، ج ٣، مصر ١٩٠٨.

٤ - محمد موفاكو: البكتاشية، مجلة العربي، آذار (مارس) ١٩٧٧، العدد ٢٢٠.

٥ - مؤلف مجهول: الاسرائيلية في جمعية الاتحاد والترقي، نهضة العرب، باريس ١٩٠٩.

٦ - Mandel, Neville; Turks, Arabs and Jewish Immigration into -



- وبروتوكولاتها - تعريب: وهيبي عز الدين، بغداد ١٩٦٥ .
- ١٠- جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تعريب: ناصر الدين الأسد واحسان عباس، بيروت ١٩٦٦ .
- ١١- خالد العظم: مذكرات خالد العظم، ج ١، بيروت ١٩٧٣ .
- ١٢- زين زين: نشوء القومية العربية - مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية - التركية، بيروت ١٩٦٨ .
- ١٣- زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، بيروت ١٩٧١ .
- ١٤- ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥ .
- ١٥- سلمان موسى: الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٤، بيروت ١٩٧٠ .
- ١٦- صالح مسعود بويصير: جهاد شعب فلسطين، بيروت ١٩٦٨ .
- ١٧- عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، بيروت ١٩٧٠ .
- ١٨- عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون، جزآن، لبنان ١٩٦٧ .
- ١٩- عودة بطرس عودة: القضية الفلسطينية في الواقع العربي، القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢٠- فرانك مانويل: بين أميركا وفلسطين، تعريب: يوسف حنا، عمان ١٩٦٧ .
- ٢١- فلاديمير لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، تعريب: عفيفة البستاني، مراجعة: يوري روشين، موسكو ١٩٧١ .
- ٢٢- فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج ٢، تعريب: كمال اليازجي وجبرائيل جبور، بيروت ١٩٥٩ .
- ٢٣- لوران غاسبار: تاريخ فلسطين، تعريب: ابراهيم ميخائيل خوري، دمشق ١٩٦٩ .
- ٢٤- محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٤، القاهرة بدون تاريخ .
- ٢٥- محمد باشا المخزومي: خاطرات جمال الدين الأفغاني، بيروت ١٩٦٥ .

- ٢٦- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني - أسباب إنحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها، الكتاب الثاني، بيروت ١٩٥٤ .
- ٢٧- محمد خليفة التونسي: بروتوكولات حكماء صهيون، بيروت ١٩٦١ .
- ٢٨- محمد رفيق ومحمد بهجت التميمي: ولاية بيروت - القسم الجنوبي، ج ١، بيروت ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م .
- ٢٩- محمد علي الزعبي: الماسونية في العراق، بيروت ١٩٧٢
- ٣٠- محمد علي الزعبي: حقيقة الماسونية، بيروت ١٩٧٤ .
- ٣١- محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصر ١٨٩٣ (طبعة مصورة، بيروت ١٩٧٧) .
- ٣٢- مصطفى كامل: المسألة الشرقية، الطبعة الأولى، مصر ١٨٩٨ .
- ٣٣- ناصر الدين الأسد: محاضرات عن محمد روهي الخالدي، القاهرة ١٩٧٠ .
- ٣٤- هاني الهندي: حول الصهيونية واسرائيل، بيروت ١٩٧١ .
- ٣٥- هيربرت فيشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩ - ١٩٥٠، تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٣٦- يوسف الحكيم: سورية والعهد العثماني - ذكريات الحكيم - ١، بيروت ١٩٦٦ .

### سابعاً : المراجع الأجنبية:

- 1 - Chouraqui, André, Théodor Herzl Inventeur de l'Etat d'Israël (Paris 1960).
- 2 - Chouraqui, André; L'Alliance Israélite Universelle et la Renaissance Juive Contemporaine 1860-1960 (Paris 1965).
- 3 - Cohen, Aharon; Israel and the Arab World (London 1970).
- 4 - Cohen, Israel; A Short History of Zionism (London 1951).
- 5 - Creasy, Edward; History of the Ottoman Turks (London 1878).
- 6 - De Bishoff, Norbert; La Turquie dans le Monde (Traduction de M. Bénouville, Paris 1936).
- 7 - Eversley, Lord; The Turkish Empire (Lahore - Pakistan 1917, Third impression 1959).

- 8 - Garnier, Jean-Paul; La Fin de L'Empire Ottoman (France 1973).
- 9 - Haslip, Joan; The Sultan – The Life of Abdul-Hamid II (London 1958, Reissued 1973).
- 10 - Kallen, Horace Meyer; Zionism and the World Politics (London 1921).
- 11 - Khaldi, Walid (Ed.); From Haven to Conquest (Beyrouth 1971).
- 12 - Landau, Jacob; Jews in Nineteenth Century Egypt (New York 1969).
- 13 - Lewis, Bernard; The Emergence of Modern Turkey (London 1961).
- 14 - Miller, William; The Ottoman Empire and its Successor 1801 – 1913 (1927) New impression 1966.
- 15 - Pinon, René; L'Europe et L'Empire Ottoman (Paris 1909).
- 16 - Rappoport, Angelos, S; History of Palestine (London 1931).
- 17 - Seton-Watson, W; The Rise of Nationality in The Balkans (London 1917).
- 18 - Stein, Leonard; Balfour Declaration (London 1961).

#### ثامناً - الصحف والدوريات العربية:

- ١ - الأسرار (بيروت) ١٩٣٨ .
- ٢ - الأهرام (الاسكندرية) ١٨٩٠ - ١٨٩١ .
- ٣ - أوراق لبنانية (بيروت) ١٩٥٦ .
- ٤ - تركيا الفتاة (باريس) ١٨٩٥ - ١٨٩٦ .
- ٥ - ثمرات الفنون (بيروت) ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٩٠٨ .
- ٦ - الخلافة (لندن) ١٩٠٠ .
- ٧ - سر كئيس (القاهرة) ١٩٠٨ .
- ٨ - العصا لمن عصا (حيفا) ١٩٠٩ .
- ٨ - العصر الجديد (الشام) ١٩٠٩ .
- ١٠ - الكرمل (حيفا) ١٩٠٩ - ١٩١٠ .

- ١١ - لبنان (بعيدا - لبنان) ١٨٩٦ .  
١٢ - لسان الاتحاد (بيروت) ١٩٠٩ .  
١٣ - المباحث (بيروت) ١٩٠٩ .  
١٤ - المجلة المصرية (القاهرة) ١٩٠٩ .  
١٥ - المشرق (بيروت) ١٨٩٩ - ١٩١١ .  
١٦ - المقتبس (دمشق) ١٩٠٩ - ١٩١٠ .  
١٧ - المنار (القاهرة) ١٨٩٨ - ١٩١١ .  
١٨ - النفائس (بيروت) ١٩١٠ .  
١٩ - نهضة العرب (باريس) ١٩٠٩ .  
٢٠ - الهلال (القاهرة) ١٨٩٤ - ١٩٠٨ .

#### تاسعاً - الصحف والموسوعات الأجنبية:

- 1 - The Jewish Encyclopedia (U.S.A. 1901).
- 2 - Аврейская Энциклопедия الموسوعة اليهودية الروسية (بطرسبرج)
- 3 - Revue du Monde Musulman (Paris 1907 - 1909).